

## جبل هارون (جبل هور): الرواية التوراتية والأدلة التاريخية والأثرية

فوزي قاسم أبو دنه \*

### ملخص

تتناول هذه الدراسة الموروث الديني والتاريخي المتعلق بجبل هارون القريب من البترا، وإحتمالية أن يكون الجبل الذي مات عليه هارون عليه السلام ودفن فيه. وتستعرض الدراسة بإسهاب تسمية الجبل في المصادر التوراتية والتاريخية المختلفة. ولأن التوراة هي المصدر الرئيسي للأحداث المرتبطة بوفاة هارون عليه السلام ومكان دفنه، فقد تم تقييمها كمصدر تاريخي من خلال مناقشة مصادرها ومراحل كتابتها والمآخذ المختلفة عليها في هذا الجانب. ويتناول الجزء الثاني من الدراسة الآراء المختلفة حول الموقع الجغرافي الصحيح لكل من قادش وجبل هور من خلال الرواية التوراتية والدراسات التاريخية والأثرية.

الكلمات الدالة: جبل هارون، جبل هور، قادش، هارون، البترا.

### المقدمة

هيمنت الرواية التوراتية والتفسيرات المتعلقة بها مدة طويلة من الزمن على كثيرٍ من الأحداث التاريخية وجغرافيتها في المنطقة العربية؛ نظراً إلى الجهود التي بذلها المستشرقون والباحثون والرحالة الغربيون في وقتٍ مبكر في هذا المجال. في المقابل، نجد أن الباحثين المسلمين والعرب على وجه الخصوص لم يبذلوا جهداً يذكر في دحض الرواية التوراتية المتعلقة بجغرافية المنطقة الدينية أو التاريخية. فمنذ القرن الثامن عشر الميلادي بدأ الغربيون في تقديم دراساتٍ تناولت التوراة ومدى صلاحيتها كمصدر تاريخي مع التركيز على جغرافية ما يعرف بالأرض المقدسة التي كانت محور الأحداث في الرواية التوراتية. لهذا السبب قام عددٌ من الباحثين الغربيين في القرن التاسع عشر الميلادي برحلات استكشافية في كلٍ من فلسطين ومصر والأردن لفهم الجغرافيا التوراتية، أو للبحث عن أماكن محددة كان لها دور بارز في الأحداث المرتبطة بخروج بني إسرائيل من مصر وتقلهم مدة التيه. وقد أسهمت كتابات أولئك المستكشفين وآرائهم في رسم خريطة للجغرافيا التوراتية لاقت قبولاً ورواجاً كبيرين في أوروبا وأمريكا بعد أن أسقطت الرواية التوراتية -المتناقضة أصلاً- على جغرافية المنطقة. تضاعف الاهتمام بالجغرافيا التوراتية في النصف الأول من القرن العشرين، ووظفت سياسياً لإضفاء الشرعية على تأسيس كيان لليهود في فلسطين. لكن مع نهاية النصف الثاني من القرن نفسه وبداية القرن الحادي والعشرين ظهرت دراسات تتحدى الموروث التوراتي وتشكك في صحته ودقته،

\* قسم الآثار، كلية البترا للسياحة والآثار، جامعة الحسين بن طلال، المملكة الأردنية الهاشمية. تاريخ استلام البحث ٢٧/٨/٢٠١٧م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٥/١/٢٠١٨م.

بخاصة ما يتعلق بنزوح بني إسرائيل من مصر وما رافقه من أحداث كالتيه وخروج الماء من الصخرة وموت هارون وموسى عليهما السلام. إن هذه الدراسة تتناول الموروث التوراتي المتعلق بوفاة هارون عليه السلام ومكان دفنه، بالإضافة إلى قضايا أخرى أبرزها الجدل المتعلق بموقع قادش، مع عرض ذلك الموروث على الأدلة التاريخية والأثرية وآراء المؤرخين وعلماء الآثار المعاصرين.

### الموقع والتضاريس

يقع جبل هارون على بعد خمسة كيلومترات تقريباً إلى الغرب من مركز مدينة البترا إلى الشرق من وادي عربة، ويتشكّل من الصخور الرسوبية الرملية ويمتد بشكل طولي، سفوحه شديدة الانحدار من جميع الجهات باستثناء الجهة الغربية التي يمكن الصعود عبرها إلى قمته، وهذه القمة منبسطة في معظم أجزائها باستثناء الجزء الشرقي الذي يعلوه مرتفع أو تلة صخرية يُصعد لها عبر أدراج حجرية وقد شُيّد على قمة ذلك المرتفع المقام المعروف باسم مقام النبي هارون (الشكل ١).



الشكل ١: صورة تظهر جبل هارون وعلى قمته مقام النبي هارون باللون الأبيض (من أرشيف المصورة

خديجة الشبعان).

### التسمية والمصادر

لا يوجد في المصادر التاريخية القديمة ما يشير إلى أن اسم الجبل المعروف حالياً بجبل هارون أو جبل النبي هارون هو اسم قديم. وسيوضح من خلال هذه الدراسة أن التسمية "جبل هارون" أو "جبل النبي هارون" هي تسمية متأخرة مصدرها موروث ديني يرتبط بقصة خروج بني إسرائيل من مصر وما تبعها من أحداث خلال سنوات التيه. وتعود جذور التسمية إلى حادثة وفاة نبي الله هارون عليه السلام

على جبلٍ يسمى جبل هور (Mount Hor) كما ورد في التوراة في سفر العدد و التثنية<sup>(١)</sup>. وعلى الرغم أن التوراة تسرد حادثة وفاة هارون عليه السلام على جبل هور، إلا أنه لا يرد في أي سفر من الأسفار التي تلت سفر العدد أي ذكر لجبل باسم جبل هارون، لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد<sup>(٢)</sup>. إن حادثة وفاة هارون عليه السلام من الحوادث المهمة في تاريخ بني إسرائيل، والمنطق يقول إن مكان وفاته هو مكان مهم جداً لا يمكن نسيانه أو تجاهله، ومع ذلك لا نجد وصفاً دقيقاً لذلك المكان أو حتى جغرافيته أو تضاريسه. وكل ما ورد عن ذلك الجبل وصف عام وأنه جبل يقع على تخوم أرض آدوم<sup>(٣)</sup>. ومن البدهي أيضاً أن يُعرف الجبل الذي مات عليه هارون باسمه بعد وفاته، لكن هذا لم يحصل لأن الجبل بقي يعرف باسم جبل هور في التوراة كما هي الحال قبل وفاة هارون عليه السلام. وفي هذا السياق يقول ترومبل<sup>(٤)</sup> (Trumbell) إن جبل هور اسم وصفي يشير إلى جبل غريب ومميز في الوقت نفسه. أما التسمية العبرية للجبل المعروف بجبل هور (Mount Hor) فهي ַהַר הָהָר<sup>(٥)</sup> وتعني حرفياً جبل الجبل. وفي مقال صحفي، لا يُعرف كاتبه، نشرته صحيفة<sup>(٦)</sup> أمريكية في عام ١٨٨٥/٢/١٤م عنوانه "إضاءة على المشاكل التاريخية الأقدم"، يرى كاتب المقال أن الاسم جبل هور (Mount Hor) ترجمة غير موفقة للاسم العبري (Har ha Har)، الذي يعني جبل الجبل. وبالعودة إلى الترجمة السبعينية<sup>(٧)</sup> للعهد القديم من العبرية القديمة إلى اليونانية نجد أن اسم الجبل ورد بالصيغة Ωρ<sup>(٨)</sup>؛ أي اور، وفي الترجمة إلى اللغة اللاتينية المعروفة بترجمة فولغيت (Vulgate) ورد اسم الجبل بالصيغة نفسها Or<sup>(٩)</sup>؛ أي أور. ويمكن هنا ملاحظة الاختلاف الواضح في اسم الجبل في النسخة العبرية من العهد القديم عن مثيلاتها باللغتين اليونانية (السبعينية) واللاتينية، مع التنبيه إلى أن النسخة العبرية القديمة فقدت والنسخة العبرية الموجودة حالياً تعود إلى القرن العاشر الميلادي؛ أي

١. سفر العدد (٢٠: ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ و ٣٣: ٣٧ و ٣٨)؛ سفر التثنية (٥٠: ٣٣).

٢. انظر الكتاب المقدس في النسخة المعروفة بنسخة الملك جيمس والتي أنجزت في عام ١٦١١م.

٣. سفر العدد (٢٠: ٢٣ و ٣٣: ٣٧).

4. Trumbull, H. Clay, **Kadesh-Barnea: its importance and probable site**, Charles Scribner's Sons, New York, 1884, p. 127.

٥. انظر: سفر العدد (٢٢: ٢٠) في النسخة العبرية <http://www.arabchurch.com/ArabicBible/hot/Numbers/20>

6. **The Democratic Advocate**, Saturday, February 14, 1885, VOL. XX.-NO. 14.

٧. تقول الرواية إن ديمتريوس أمين دار الكتب في مكتبة الإسكندرية أشار على بطليموس الثاني -الذي كان شغوفاً بجمع

الكتب- بترجمة شرائع اليهود إلى اليونانية، وأن الملك بطليموس الثاني أمر بمراسلة البعازر كبير الكهنة اليهود لهذه الغاية،

فأرسل البعازر اثنين وسبعين عالماً بواقع ستة علماء عن كل سبط من أسباط بني اسرائيل الإثنا عشر؛ لذلك عُرفت بالترجمة

السبعينية رغم أن عددهم اثنان وسبعون. فانجزوا العمل خلال اثنين وسبعين يوماً بعد أن وفر لهم كل أسباب الراحة لإنجاز

المهمة. انظر ميلر وهوير، تاريخ الكتاب المقدس، ص ٤٨- ٤٩.

٨. انظر: سفر العدد (٢٢: ٢٠) في الترجمة السبعينية.

<http://www.arabchurch.com/ArabicBible/lxx/Numbers/20>

٩. انظر: سفر العدد (٢٢: ٢٠) في الترجمة اللاتينية.

١٠. <http://www.arabchurch.com/ArabicBible/vulgate/Numbers/20>

أن الترجمة السبعينية أوثق في ما يخص اسم الجبل؛ لأنها ترجمة مباشرة عن العبرية القديمة، وقد وردت الصيغة نفسها (أور) أيضاً عند المؤرخ الكنسي يوسبيوس القيساري (Eusebius) في كتابه المعروف بالـ Onomastico<sup>(١٠)</sup>. وكلمة أور في العبرية (אור) وفي اللغات السامية تعني النور. ولا يرد أي ذكر لجبل هور في الحروب التي خاضها داود وسليمان عليهما السلام، وبخاصة ضد الأدوميين في جنوبي الأردن حسب التوراة، ولا يرد له ذكر نهائياً في بقية الأسفار التي تناولت حياتهما<sup>(١١)</sup>. ولو كان جبل هور في آدوم أو على تخومها كما يزعم الكثير من علماء الآثار التوراتية لبادر داود وسليمان عليهما السلام في ضمه إلى مملكتهم نظراً إلى أهميته الدينية والتاريخية لبني إسرائيل. ورغم الدراسات التاريخية والأثرية التي ركزت على منطقة آدوم في العصر الحديدي (١٢٠٠ ق.م - ٥٣٩ ق.م)، فإنها لم تتطرق لجبل هور أو جبل هارون - كما يُعرف اليوم - كواحد من المواقع المهمة في ذلك العصر<sup>(١٢)</sup>. ويستمر غياب الجبل المدعو جبل هور أو الإشارة إليه في أي مصدر تاريخي حتى القرن الأول الميلادي؛ حيث يرد عند المؤرخ اليهودي الروماني جوسيفوس (Josephus)، الذي يذكر في معرض حديثه عن خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض الميعاد أن هارون عليه السلام مات على جبل - لم يذكر اسمه - بعد وصول بني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام إلى المدينة الرئيسية المعروفة باسم (Acre)، "التي تعرف اليوم (في القرن الأول الميلادي) باسم البترا"<sup>(١٣)</sup>. ويمكن هنا ملاحظة بعض الأمور في المعلومات التي أوردها جوسيفوس (Josephus)؛ الأمر الأول أنه لم يذكر اسم الجبل صراحةً واكتفى بوصفه بأنه جبل مرتفع، والأمر الثاني أنه لم يحدد موقع الجبل بالنسبة إلى مدينة البترا، لكن سياق حديثه يشير بوضوح إلى أنه قريب من البترا، والأمر الثالث أن جوسيفوس (Josephus) يستذكر الأحداث من غير الإشارة إلى مصدرها، اعتماداً على التاريخ الشفاهي والمعلومات الواردة في العهد القديم، ويستخدم أسماء الأماكن كما هي في زمانه وليس كما وردت في التوراة، فالتوراة تذكر في أكثر من موضع اسم الجبل (هور) وتشير بوضوح إلى أنه على تخوم آدوم ولا تذكر كلمة "العربية" ولا البترا أو Acre كما أورد جوسيفوس (Josephus). ومن المعروف أن منطقة البترا شهدت ازدهاراً حضارياً غير مسبوق في الحقبه النبطية في القرن الأول قبل الميلاد والقرنين الأول والثاني بعد الميلاد، ومع ذلك لا نجد أي إشارات تاريخية لجبل هارون رغم قربه الجغرافي من البترا عاصمة دولة الأنباط<sup>(١٤)</sup>. إلا أن التنقيبات الأثرية للمجمع الكنسي البيزنطي المقام على جبل هارون كشفت عن وجود منشأة دينية (مزار) من الحقبه النبطية مرتبط بديانة العرب الأنباط الوثنية<sup>(١٥)</sup>.

11. Onomasticon. 176: 7.

١٢. انظر على سبيل المثال: سفر ٢ صاموئيل ٨: ١٤ وسفر ١ الأخبار ١٨: ١٣

انظر على سبيل المثال: دراسة ماك دونالد،

Burton MacDonald, "East of the Jordan" Territories and Sites of the Hebrew Scriptures, The American Schools of Oriental Research, Boston, 2000.

13. Josephus, F. **The Whole works of Flavius Josephus**, trans. By Ebenezer Thompson and Chas. Price, London, 1795, Book IV, pp. 70 – 71.

١٤. السلامين، زياد، **مدخل إلى تاريخ وحضارة البترا**، ط ١، ٢٠١٠م، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان.

15. Fiema, Zbigniew, Reinventing the sacred: from shrine to monastery at Jabal Hārūn,

ومن المعروف أن الأنباط كانوا يختارون قمم الجبال المرتفعة في البترا وخارجها لإقامة معابد عليها أو مذابح لآلهتهم<sup>(١٦)</sup>. وعلى الرغم من إلحاق البترا بالإمبراطورية الرومانية في عام ١٠٦م<sup>(١٧)</sup>، فإن المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين (يونان ورومان) لا يشارون إلى البترا نفسها، ولم يرد عند أحد منهم أية إشارة تتعلق بجبل هور أو جبل هارون. أما في الحقب البيزنطية (٣٢٤ - ٦٣٦م) فيتكرر الحديث عن جبل بالقرب من البترا بعده الجبل الذي مات عليه هارون عليه السلام. وفي ذلك يقول يوسيبوس<sup>(١٨)</sup> (Eusebius): "أور، الجبل الذي مات عليه هارون بالقرب من مدينة البترا، الذي توجد عليه حتى اليوم الصخرة التي ضربها موسى (بعصاه) وخرج منها الماء". وفي القرن الخامس الميلادي يشير القديس والمؤرخ البيزنطي جيروم (Jerome)<sup>(١٩)</sup> إلى جبل أور بالقرب من البترا وحادثه وفاة هارون عليه السلام عليه وخروج الماء من الصخرة بعد أن ضربها موسى عليه السلام<sup>(٢٠)</sup>، وبذلك تتطابق رواية جيروم (Jerome) مع رواية يوسيبوس (Eusebius) على نحو كبير في ما يتعلق باسم الجبل وبقيّة الأحداث المرتبطة بموت هارون عليه السلام وخروج الماء من الصخرة على يد موسى عليه السلام. ومن القرن السادس الميلادي ترد إشارتان مهمتان حول جبل هارون، لكنهما لا تذكران صراحةً كلمة جبل رغم ورود اسم هارون في كليهما. الإشارة الأولى جاءت من مصادر تاريخية تؤكد حضور رجلي دين من "دير هارون" اجتماعات المجالس الكنسية في كل من القسطنطينية والقدس في عام ٥٣٦م، مع العلم أن تلك المصادر لم تحدد مكان دير هارون<sup>(٢١)</sup>. أما الإشارة الثانية فقد جاءت من مخطوطات كنيسة البترا<sup>(٢٢)</sup> التي اكتشفت في عام ١٩٩٣م، حيث ورد في إحدى المخطوطات التي تحمل الرقم التسجيلي (6a)، التي تعود لسنة ٥٧٣م النص الآتي: "بيت سيدنا القديس الكاهن الكبير هارون"<sup>(٢٣)</sup>. ويرى كل من لاهيلما (Lahelma) وفيما (Fiema) أن الوجود المسيحي على جبل

Supplement to Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 42, 2012, pp. 28 – 31.

١٦. السلامين، مدخل إلى تاريخ، ص ١٣٧ - ١٩٠.

17. Kennedy, David, **The Roman Army in Jordan**, Council for British Research in the Levant, London 2004, pp. 38 –40.

18. Eusebius, **Onomasticon der bibischen Ortsnamen**. E.Klostermann (Ed). Leipzig, Hinrichs, 1904, p. 176.

١٩. القديس جيروم (ت ٤٢٠م) من بلاد دالماسيا (يوغسلافيا). ترجم القديس جيروم العهد القديم من العبرية إلى اللاتينية والعهد الجديد من اليونانية إلى اللاتينية بتكليف مباشر من البابا، وعُرفت ترجمته هذه بالفولجاتا أو العامة واعتمدها الكنيسة الكاثوليكية لألف عام.

20. Frösén, Jaakko & Päivi Miettunen, Aaron in Religious Literature, Myth, and Legend. – Zbigniew T. Fiema & Jaakko Frösén (eds), **Petra – the Mountain of Aaron. Vol. I. The Church and the Chapel, 5–25**. Helsinki: Societas Scientiarum Fennica, 2008, p. 11.

21. *Ibid*, p. 12.

٢٢. برديات البترا اكتشفت في كنيسة البترا في أثناء التنقيبات الأثرية في عام ١٩٩٣م. كُتبت باللغة اليونانية على ورق البردي، وتعود إلى المدّة ما بين ٥٣٧ و ٥٩٣ ميلادي، وفيها معلومات مهمة عن الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمع البترا في القرن السادس الميلادي. لمزيد من المعلومات، انظر: المراجع الواردة في الحواشي رقم ٢٤ و ٢٥.

23. Gagos, Traianos & Jaakko Frösén, Petra Papyri, **Annual of the Department of Antiquities of Jordan XLII**, pp. 473–481, 1998, P. 477; Frösén, Jaakko, **The First Five Years of the Petra**

هارون استمر حتى بعد الفتوحات الإسلامية، ويستشهدان بمعلومة أوردها القديس ستيفن السبيطي (Stephen the Sabaite) ذكر فيها مكاناً مقدساً اسمه مار (دير) هارون (Mār Hārūn) يزوره الرهبان في منتصف القرن الثامن الميلادي<sup>(٢٤)</sup>. وقد اقترح الباحثان أن مار هارون هو جبل هارون القريب من البترا رغم أن المصدر المشار إليه لا يذكر صراحةً الموقع الجغرافي لمار هارون. وفي بداية القرن الثاني عشر الميلادي، أيام الاحتلال الصليبي للمنطقة، زار القائد الصليبي بلدوين الأول (Baldwin) منطقة البترا وبرفقتة القس والمؤرخ فوشيه الشارترتي (Fulcher of Chartres) الذي وثق الزيارة وذكر وجود كنيسة "ثم وجدنا على قمة الجبل كنيسة القديس هارون، حيث كلم الله موسى"<sup>(٢٥)</sup>. وفي السياق نفسه يشير كل من فيما (Fiema) وفروزين (Frosen) إلى أن عددًا من الكتب، أسماء مؤلفي بعضها غير معروفة، تناولت زيارة بلدوين (Baldwin) إلى منطقة البترا، وذكر بعضها قبر هارون على جبل هور (Mount Hor) في المنطقة العربية من غير تحديد أو ذكر مكانه بالضبط<sup>(٢٦)</sup>. وبعد أكثر من قرن زار الحاج المسيحي ثيمار (Themtar) البترا وهو في طريقه إلى سيناء عام ١٢١٧م، ومما ذكره حول هذه الزيارة قوله "بعد عناء وصلت إلى جبل أور (Or) حيث مات هارون وعلى قمته بُنيت كنيسة يعيش فيها راهبان من الإغريق، ويُسمى المكان موسيرا (Muscera)"<sup>(٢٧)</sup>. ويشكك فيما (Fiema) وفروزين (Frosen) في رواية ثيمار (Themtar) في ما يتعلق بصعوده إلى قمة الجبل ورؤيته للرهبان؛ لأنه لم يستخدم كعاداته ضمير المتحدث بل تحدث بصيغة المبني للمجهول. ويعتقدان أيضًا أن مصدر معلوماته عن قمة الجبل والرهبان هو الأرملة الفرنسية (Vidua Gallica) التي التقته في الشوبك، ووصفت له الطريق إلى جبل سيناء، بالإضافة إلى كتابات من سبقه من الحجاج والرحالة، ومعلومات قد يكون استقاها من أهل المنطقة<sup>(٢٨)</sup>. والمرجع نفسه<sup>(٢٩)</sup> يشير إلى زيارة بعض الحجاج اليهود إلى جبل هارون في القرن الثالث عشر الميلادي، ذكر

Papyri. – I. Andorlini & G. Bastianini & M. Manfredi & G. Menci (eds), **Atti del XXII Congresso Internazionale**

**di Papirologia**, Firenze, 23–29 Agosto 1998, pp. 487–93. Firenze: Istituto Papirologico 'G. Vitelli', 2001, p. 491; Frösén, Jaakkom Archaeological Information from the Petra Papyri. – F. el Krayesh (ed.), **Studies in the History and Archaeology of Jordan VIII**, 141–4. Amman: Department of Antiquities of Jordan, 2004, p. 142.

24. Antti Lahelma & Zbigniew T. Fiema, From Goddess to Prophet: 2000 Years of Continuation the Mountain of Aaron near Petra, Jordan, The Finnish Society for the Study of Religion, **Temenos Vol. 44 No. 2**, pp. 191–222, 2008, p. 198.

٢٥. فوشيه الشارترتي، **تاريخ الحملة إلى القدس**، ترجمة زياد العسلي، ط١، ١٩٩٠م، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ص ١١٠.

26. Fiema, Zbigniew and Frösén, Jakko, Jabal Haroun in the Crusader, Ayyubid and Mamluk Periods, **La Transgiordania nei secoli XII-XIII e le "frontiere" del Mediterraneo medievale**, a cura di G. Vannini e M. Nucciotti, BAR, Oxford, 2012, p. 195.

27. **Ibid**, p. 195.

28. Fiema & Frösén, **Jabal Haroun in the Crusader**, p. 195; Lahelma & Fiema, **From Goddess**, p. 199.

29. Fiema & Frösén, **Jabal Haroun in the Crusader**, p. 195.

منهم الحاخام يعقوب الذي وصف الجبل بأنه "جبل هور حيث دُفن هارون". وعلى الرغم من تناول المصادر العربية الإسلامية لحادثة وفاة هارون عليه السلام ومكان موته ودفنه، فإنها لا تقدم الكثير في ما يتعلق بموضوع الدراسة؛ لأنها اعتمدت على نحو واضح على الرواية التوراتية التي رشحت إلى كتب السيرة والتفسير من خلال ما يعرف بالأسرائيليات. وسيقتصر الحديث هنا على المصادر التي ذكرت جبل هور أو حددت موقعه الجغرافي. فالمسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) في كتابه "مروج الذهب" ذكر أن "الله قبض هارون في التيه فدفن في جبل مؤاب من نحو جبال الشراة، مما يلي الطور، وقبره مشهور في مغارة عادية..."<sup>(٣٠)</sup>. وفي مؤلفه المعروف باسم "التنبيه والإشراف" يشير المسعودي أيضاً إلى الجبال المقدسة عند النصارى، وذكر أنها أربعة، أحدها يسمى طور هارون ويقع على بعد أيام من جبل طور سيناء"<sup>(٣١)</sup>. أما الجغرافي أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) فقد ذكر حادثة وفاة هارون عليه السلام، وأشار إلى أنه دُفن في "جبل مؤاب نحو جبال الشراة مما يلي الطور"<sup>(٣٢)</sup>. وفي معجم البلدان، لصاحبه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)، ورد اسم طُور هارون وجاء التعريف به على النحو الآتي: "جبل عالٍ مشرف في قبلي البيت المقدس فيه قبر هارون لأنه أُصعد إليه مع أخيه فلم يعد، فاتهمت بنو إسرائيل موسى بقتله فدعا الله حتى أراهم تابوته بين الفضاء على رأس ذلك الجبل ثم غاب عنهم، كذا يقول اليهود، فسمي طُور هارون لذلك"<sup>(٣٣)</sup>. وفي عام ١٢٧٦ الميلادي زار السلطان المملوكي الظاهر بيبرس منطقة البترا وهو في طريقه من القاهرة إلى الكرك، ورافقه في هذه الرحلة المؤرخ النويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) الذي قال عن أحد الجبال التي مروا بها بالقرب من البترا أن "عليه قبر هارون نبي الله، أخو موسى بن عمران عليهما السلام"<sup>(٣٤)</sup>. أما القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) فقد سمى المكان الذي دُفن فيه هارون عليه السلام بطور هارون، وذكر أنه "في قبلي بيت المقدس"<sup>(٣٥)</sup>، كما ذكر المؤرخ والجغرافي أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) أن طور هارون هو "علم لجبل عالٍ مشرف في قبلة القدس قبر هارون في رأسه"<sup>(٣٦)</sup>. ولا يوجد أي ذكر أو إشارة تاريخية تتعلق

٣٠. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دققها ووضعها يوسف أسعد داغر)، ج ٤، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٢٥.

٣١. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)، التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٧٤.

٣٢. البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ م، ج ١، ص ١١٨ - ١١٩.

٣٣. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)، معجم البلدان، ج ٥، (تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م، ج ٤، ص ٤٨.

٣٤. شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) هو المؤرخ الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، نسبة إلى قرية النويرة بمحافظة بني سويف في مصر.

٣٥. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)، آثار البلاد وأخبار العباد، Göttingen، ١٨٤٨ م، ص ١٣٨ - ١٣٩.

٣٦. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس،

بجبل هور أو طور هارون عليه السلام من أي مصدر في السنوات ما بين بداية القرن الخامس عشر ونهاية القرن الثامن عشر الميلادي. لكن الحديث عن الجبل موضوع هذه الدراسة تجدد مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وتكرر على نحو واضح في كتابات الرحالة الأوروبيين الذين تهافتوا على زيارة مدينة البترا الأثرية بعد استكشافها من قبل الرحالة السويسري بيركهارت<sup>(٣٧)</sup> (Burckhardt) في عام ١٨١٢م. وعلى الرغم من بقاء الاسم التوراتي الذي اشتهر به ذلك الجبل وهو جبل هور<sup>(٣٨)</sup>، فإن أدبيات رحلة القرن التاسع عشر الميلادي تشير إلى الاسم العربي أو المحلي الذي شاع بين أهل المنطقة في ذلك الوقت، وهو جبل هارون أو جبل النبي هارون، ويبدو أن هذا الاسم كان شائعاً في المنطقة قبل القرن التاسع عشر الميلادي؛ أي أنه أصبح مستخدماً في السنوات التي سبقت قدوم الرحالة إلى المنطقة، ولا يمكن تحديد بداية استخدام هذا الاسم على نحو قاطع، لكن من المحتمل أن هذا الاسم شاع استخدامه بعد بناء مقام على قمة الجبل، وعلى الرغم من غياب الأدلة التاريخية والأثرية على بناء المقام للمرة الأولى، فإن فكرة بناء المقامات التي تحمل أسماء أنبياء أو صحابة انتشرت في عهد المماليك على نحو واسع. وتشير بعض النقوش الموجودة في البناء ومحيطه إلى أن المقام أُعيد ترميمه في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣٣٨م (٧٣٩هـ)<sup>(٣٩)</sup>. ومن الواضح أن بناء المقام الذي ما زال قائماً رَسَخَ الرواية التوراتية من ناحية وأصبح هناك اسم محلي جديد للجبل هو جبل هارون أو مقام النبي هارون من ناحية أخرى. وقد أشار معظم رحلة القرن التاسع عشر الميلادي إلى الاسم المحلي للجبل، فعندما زار بيركهارت<sup>(٤٠)</sup> (Burckhardt) البترا في عام ١٨١٢م ذكر أن المسلمين بنوا مقاماً على قمة جبل هور ويسمونه قبر (مقام) هارون. وفي عام ١٨٢٨م جاء الرحالة الفرنسي لابورد<sup>(٤١)</sup> (Laborde) إلى البترا وأشار إلى أن جبل هور يُعرف آنذاك باسم قبر النبي هارون. أما الرحالة كراوفورد<sup>(٤٢)</sup> (Crawford) فقد قال -في أثناء قدومه من العقبة إلى البترا

١٨٤٠م، ص ٦٩، جاء ذكر طور هارون مباشرة بعد طور سيناء، وقد أشار أبو الفداء إلى أن كلمة طور تعني جبل.

٣٧. يوهان ل. بيركهارت (ت في ١٥/١٠/١٨١٧م) رحلة وجغرافي ومستشرق سويسري. زار بيركهارت مدينة البترا في ٢٣/٨/١٨١٢م وأرسل رسومات ومعلومات عنها إلى لندن وانتشر خبرها في أوروبا فبدأ الرحالة في التوجه إليها. ضمت مجموعته التي تبرع بها لمكتبة جامعة كامبريدج أكثر من ثمانمائة مجلد من المخطوطات الشرقية.

٣٨. هذا الاسم لم يكن معروفاً أو شائعاً بين السكان المحليين في أي فترة من الفترات إنما استخدم من قبل الرحالة وعلماء الآثار التوراتيين؛ لأنه الجبل الذي مات عليه هارون عليه السلام كما جاء في الموروث الديني، مع الانتباه إلى أن هناك جدلاً علمياً حول الاسم الذي ورد في النسخة القديمة المفقودة من التوراة.

٣٩. البناء الحالي من عهد العثمانيين ١٨٩٨م نقلاً عن العربي، انظر: النصرات، محمد. موسم النبي هارون - عليه السلام - في البترا تاريخ الموسم والمقام، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٧، العدد ١، ٢٠١٣م، ص ١٢٦.

40. John Lewis Burckhardt, **Travels in Syria and the Holy Land**, London: John Murray, 1822, p. 618

41. L. de Laborde, **Journey through Arabia Petraea to Mount Sinai and the excavated City of Petra**, London 1836, p. 194.

42. Lord Lindsay (William Crawford), **Letters on Egypt, Edom and the Holy Land**, London, 1838, p. 220.

عبر وادي عربة في عام ١٨٣٧م:- "أصبحنا في مرأى جبل هور الذي يسمى الآن جبل هارون". وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي يشير الرحالة لوث<sup>(٤٣)</sup> (Lowth) إلى أن جبل هور هو الجبل المعروف باسم جبل هارون بالقرب من البترا. وما زالت هذه التسمية شائعة حتى الوقت الحاضر، حيث يُسمى الجبل ككل بجبل هارون والبناء القائم على أعلى قمة في الجبل بمقام النبي هارون، إلا أن الاسم التوراتي (جبل هور) ما زال أيضاً حاضراً في أدبيات مؤرخي التوراة وعلماء الآثار التوراتية.

### التوراة

يتضح من النقاش السابق الذي تناول تسمية جبل هارون في المصادر التاريخية المختلفة أن تلك المصادر-جميعها- اعتمدت على نحو أساس على التوراة سواءً على نحو مباشر أو غير مباشر كما هي الحال بالنسبة إلى المصادر الإسلامية. وعليه، لا بد من التعرض للتوراة في هذا الجزء من الدراسة من حيث التعريف بها وتحديد مواردها ومن كتبها ومتى كُتبت ومدى صلاحيتها كمصدر تاريخي. وكلمة التوراة في اللغة العربية نقل للكلمة العبرية תורה التي تعني القانون أو التوجيه أو التعليم، وفي اللغة الإنجليزية (Bible)، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (biblia) التي تعني "كُتُب"، والتوراة اصطلاحاً كلمة تستخدم للدلالة على الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس في الجزء المعروف باسم العهد القديم؛ الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام، والأسفار الخمسة الأولى باللغة الأهمية والقدسية عند بني إسرائيل؛ لأنهم يعتقدون أنها تحتوي على ناموس الله وأنها وحيٌّ منه، وأن موسى عليه السلام كتبها بخط يده<sup>(٤٤)</sup>، ويتألف العهد القديم أو الكتاب المقدس العبري كما اتفق عليه اليهود على امتداد ألف عام من أربعة وعشرين (٢٤) سفرًا، مقسمةً إلى ثلاثة أقسام: الناموس (التوراة) والأنبياء والكتابات. والأسفار الخمسة الأولى هي على الترتيب على النحو الآتي: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية<sup>(٤٥)</sup>. فالتوراة ليست كتاباً واحداً كما يُعتقد، وإنما هي مجموعة من الكتب التي جُمعت وحُررت على مدى ألف عام، وتُعد مسألة مصدر التوراة وكتابتها من المسائل التي طُرحت للنقاش على مدار قرونٍ عديدة، والموقف التقليدي لليهودية الأصولية هو أن العهد القديم (التوراة) هو كلمة الله، والموقف نفسه اتخذته كل من الكاثوليكية الرومانية التاريخية والبروتستانتية التاريخية اللتان تنظران إلى العهد القديم على أنه إلهام من روح القدس<sup>(٤٦)</sup>، وقد "ظل الاعتقاد على مدى قرون أن موسى هو الذي كتب الأسفار الخمسة وكثيراً ما كان يُشار إليها باسم "أسفار موسى الخمسة"<sup>(٤٧)</sup>. ورغم

43. G.T. Lowth, *The Wanderer in Arabia, or Western Footsteps in Eastern Tracks*. 2 vols, London, 1855, vol 1, p. 214 and p. 230.

٤٤. ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوير، *تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم*، ترجمة وليم وهبه بمشاركة وجدي وهبه، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٥٤.

٤٥. المرجع نفسه، ص ٥٤ و ٥٥.

46. Raymond F. Surburg, *Wellhausenism Evaluated After A Century Of Influence*, *Concordia Theological Quarterly*, Volume 43, Number 2, 1979, p. 90.

٤٧. ميلر وهوير، *تاريخ الكتاب المقدس*، ص ٢٨.

ذلك فإن الاعتقاد السائد بين الباحثين والمختصين بالدراسات التوراتية هو أنها كُتبت بعد زمنٍ طويلٍ من عهد موسى عليه السلام من قبل العديد من الكتّاب<sup>(٤٨)</sup>، ورغم أن مناقشة فكرة مصدر التوراة طُرحت بقوة مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فإن بعض العلماء ورجال الدين اليهود أشاروا قديماً -على استحياء- إلى أن التوراة بالمجمل فيها دلائل لا تدعم فكرة كتابتها بالكامل من قبل موسى عليه السلام. وفي عام ١٨٨٦م طرح المؤرخ الألماني فلهاوزن (Wellhausen) نظريته في ما يخص مصدر التوراه وكتابتها في كتاب باللغة الألمانية، تُرجم في ما بعد إلى الإنجليزية، وعُرفت بالنظرية الوثائقية. وتقوم نظرية فلهاوزن (Wellhausen) على أن التوراة كتبها عددٌ من الناس على مدى سنواتٍ طويلةٍ من الزمن، وحدد أربعة مصادرٍ للتوراة أعطاها رموزاً بالحروف (JEDP) جاءت على النحو الآتي: يهوه (Jahwist) والوهيم (Elohist) وسفر التثنية (Deuteronomy) والمصدر الكهنوتي (Priestly)<sup>(٤٩)</sup>. كما استطاع فلهاوزن من خلال دراسته للنصوص التوراتية تحديد جهة حررت النصوص في المصادر الأربعة وصاغتها في نص واحد. فالمصدر الأول (يهوه) هو الأقدم ويعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد ويركز على قصص الأسباط الجنوبية أو مملكة يهوذا، والرب في هذا المصدر اسمه يهوه وكان قريباً من الإنسان وأسلوبه الأدبي رشيق ونابض بالحياة. أما المصدر الثاني (الوهيم) فيرجح أنه يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد ويركز على موسى والأنبياء عليهم السلام أكثر من تركيزه على الملوك. والرب في هذا المصدر اسمه إلهيم؛ لذلك حمل هذا المصدر اسم الرب فيه. الأسلوب الأدبي في هذا المصدر أكثر تعقيداً من سابقه، وفيه يخاطب الرب الناس عن طريق الملائكة أو الأحلام. ويركز هذا المصدر على مملكة الشمال (إسرائيل) بتقاليدها وشخصياتها. وقد تكون نسخ من هذا المصدر اختلطت بالمصدر الأول في منتصف القرن السابع قبل الميلاد بعد سقوط مملكة الشمال على يد الآشوريين في عام ٧٢٢ ق.م. والمصدر الثالث يختلف كثيراً عن المصادر الأربعة الأخرى لأنه يشتمل على سفر الشريعة الذي عُثر عليه في الهيكل في عام ٦١٢ ق.م بحسب الروايات التوراتية<sup>(٥٠)</sup>. والتلمود<sup>(٥١)</sup> يشير إلى أن سفر التثنية كتبه موسى عليه السلام بلغته بينما أملى الرب عليه بقية الأسفار. أما المصدر الرابع (الكهنوتي) فقد كان آخر المصادر كتاباً، ويعتقد بعض الباحثين

٤٨. ميلر وهوبر، تاريخ الكتاب المقدس، ص ٢٨.

٤٩. المرجع نفسه، ص ٢٩.

٥٠. المرجع نفسه، ص ٣٠.

٥١. التلمود (תלמוד) كلمة عبرية تعني الدراسة، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية، ويعتبر آخر هو تدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية، الأخلاق، الأعراف، وقصص موثقة من التراث اليهودي، وهو أيضاً المصدر الأساسي لتشريع الحاخامات في دعاوى القانونية، التلمود مركب من عنصرين، المشناه Mishnah هي النسخة الأولى المكتوبة من الشريعة اليهودية التي كانت تتناقل شفويا، الجمارا גמרא Gemara وهذا القسم من التلمود يتناول المشناه بالبحث والدراسة (أحيانا يستعمل أحد المصطلحين تلمود أو جمارا للدلالة على المصطلح الآخر). لكن بينما يصنف الجمارا كتعليقات على المشناه وكتابات للحاخامات الحكماء، نراه أيضا يخوض مواضيع أخرى في التناخ Tanakh ويتناولها بالشرح الواسع. التعريف منقول من تلمود <https://ar.wikipedia.org/wiki/تلمود>

أنه أضيف أيام السبي البابلي<sup>(٥٢)</sup> حفاظاً على الهوية الدينية، بينما يرى فريق آخر من الباحثين أنه أنجز بعد عودة بني إسرائيل من السبي البابلي بعد ٥٣٩ ق. م<sup>(٥٣)</sup> إحياءً لتقاليد الشريعة اليهودية<sup>(٥٤)</sup>. وقد استنتج فلهاوزن (Wellhausen) أن لكل مصدر مفرداته الخاصة به، واهتماماته ومنهجيته، كما أن نمط الكتابة يختلف من مصدرٍ إلى آخر في ما يتعلق بالقواعد وتوظيف الكلمات. وهذا الأمر كما يرى فلهاوزن (Wellhausen) يؤكد أن الأهمية التاريخية للتوراة لا تكمن في الأشياء التي تكشفها لنا عن الأحداث التي تصفها، بل في أنها تزودنا بمعلومات عن الناس الذين كتبوها. في المقابل هناك من يرى أن محرري الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، ربطوا النصوص بطريقة محكمة رغم تعدد مصادرها<sup>(٥٥)</sup>. وقد مثلت طروحات فلهاوزن القوية حول التوراة واليهودية على نحو عام تحدياً كبيراً لرجال الدين اليهود والباحثين في تاريخ التوراة وأصلها، خصوصاً أنها جاءت في أيام ازدهار الدراسات المتعلقة بالتوراة وهيمنتها<sup>(٥٦)</sup>. لذلك لم تسلم نظريته من النقد<sup>(٥٧)</sup> الذي وصل إلى حد اتهامه بمعاداة السامية كما جاء في مقال للحاخام زيف -حاييم رد فيها على فلهاوزن قائلاً: "لا يسعنا إلا الاستنتاج بأن بغضه (يقصد فلهاوزن) لليهود واليهودية كان السبب الذي قاده إلى نظرياته واستنتاجاته"<sup>(٥٨)</sup>. ورغم هذا الاتهام ومعارضة كثير من العلماء والباحثين لطروحات فلهاوزن، فإنها لاقت قبولاً لدى جمهور من الباحثين، خصوصاً في ألمانيا، ولدى الكثير من العلماء والباحثين في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٥٩)</sup>.

### من كتب التوراة ومتى؟

في مقدمة حديثه عن صياغة العهد القديم يقول مؤلف كتاب "تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم": "تم استكمال العهد القديم ببطء على مدى ما يزيد على ألف عام، واشترك في كتابته كثيرون من الكتاب الموحى لهم والمحررون والكتّاب وغيرهم. وفي البداية كانت قصص الخليفة وعصور اليهودية المبكرة تنتقل شفاهاً. وأخيراً بعد أن تطورت الأبجدية العبرية بدأ تسجيل هذه القصص كتابةً وغيرها من القصص"<sup>(٦٠)</sup>. هذا الاقتباس يلخص الرأي السائد منذ زمن في الأوساط العلمية المختصة

٥٢. السبي البابلي مصطلح يشير إلى سبي اليهود من فلسطين في عام ٥٨٦ قبل الميلاد على يد القائد البابلي نبوخذ نصر بعد

أن دمر ما يسمى بيهودا أو مملكة الجنوب اليهودية وعاصمتها القدس بحسب التوراة.

٥٣. في عام ٥٣٩ قبل الميلاد تمكن الملك قورش الفارسي من القضاء على مملكة بابل وسمح لليهود الذين سباهم نبوخذ نصر بالعودة إلى فلسطين.

٥٤. ميلر وهوير، تاريخ الكتاب المقدس، ص ٣١.

٥٥. ميلر وهوير، تاريخ الكتاب المقدس، المرجع نفسه، ص ٣١.

56. Surburg, *Wellhausenism Evaluated*, pp. 78 – 83.

57. *Ibid*, pp. 88 – 91.

58. Rabbi Zev- Hayyim (William) Feyer, *Anti-Semitism in Wellhausen*, Claremont, California, 2004, p. 9.

59. Surburg, *Wellhausenism Evaluated*, p. 84.

٦٠. ميلر وهوير، تاريخ الكتاب المقدس، ص ١٠.

والمهتمة بالتوراة والدراسات المتعلقة بها؛ أي أن التوراة لم تُدون زمن نزولها على موسى عليه السلام، وبقيت الشرائع اليهودية والتقاليد والطقوس الدينية تنتقل شفاهاً من جيلٍ إلى جيلٍ، ويرى كثير من المختصين بعلم اللاهوت أن التوراة جُمعت في وقت أزمةٍ قوميةٍ كالسبي البابلي في عام ٥٨٦ ق. م؛ من أجل الحفاظ على الهوية الدينية لبني إسرائيل<sup>(٦١)</sup>، ورغم ذلك نجد في التوراة إشارات صريحة إلى مجموعة من القوانين المكتوبة والمعروفة بالوصايا العشر التي سلمها الرب لموسى عليه السلام عند جبل الطور على مسمع جميع بني إسرائيل<sup>(٦٢)</sup>. والوصايا العشر كما جاء في التوراة كُتبت على لوحين من الحجر<sup>(٦٣)</sup> التي يرى بعض العلماء أنه من الحجر الجيري الخفيف والمتوفر بكثرة في سيناء<sup>(٦٤)</sup>. وجاء في سفر الخروج (١٦:٣٢) أن الألواح من صنع الرب وأن الكتابة هي كتابة الرب نُقشت على الألواح، لكن هذه الألواح أصابها التلف بعدما وقعت من يدي موسى عليه السلام وهو في حالة غضب على قومه من صنعهم للعجل<sup>(٦٥)</sup>. وتشير التوراة (الخروج ٣٤:١) إلى أن الرب أعطى موسى عليه السلام لوحين مثل الأولى وقال له: "سأكتب على هذه الألواح الكلمات التي كانت في الألواح الأولى"، وأن موسى بقي مع الرب أربعين يوماً و ليلة لم يشرب خلالها الماء ولم يأكل الخبز، وكتب على الألواح كلمات العهد، الوصايا العشر<sup>(٦٦)</sup>، ولأهمية الوصايا العشر حُفظت في صندوق مطلي بالذهب يسمى بتابوت العهد، هذا التابوت كان يوضع في أقدس جزء من خيمة الاجتماع عندما كان بنو إسرائيل في النية، ثم وُضع في الهيكل بعد دخولهم فلسطين بحسب الرواية التوراتية، لكن تابوت العهد تعرض للسرقة على يد البابليين بعد استباحتهم للقدس في عام ٥٨٦ ق. م كما ورد في إحدى الروايات. وهناك رواية أخرى جاءت من أحد الأسفار المتأخرة (سفر المكابيين) تقول أن النبي إرميا خبأ تابوت العهد في كهف على الجبل الذي مات عليه موسى عليه السلام<sup>(٦٧)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم أشار بصراحة إلى الألواح -دون تحديد عددها- في سورة الأعراف في قوله تعالى: "وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوةٍ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين" (الآية ٤٥). وفي قوله تعالى: "...وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه..." (الآية ١٥٠). وفي قوله تعالى: "ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدىً ورحمةً للذين هم لربهم يرهيبون" (الآية ١٥٤). وفي الوقت الذي نتحدث فيه التوراة عن تلف الألواح بعد أن ألقاها موسى عليه السلام وكتابة الرب لها مرةً أخرى، نجد أن القرآن الكريم يتحدث عن الألواح نفسها التي لم يلحق بها

٦١. ميلر وهوير، تاريخ الكتاب المقدس، ص ٥٤.

٦٢. المرجع نفسه، ص ١٨.

٦٣. سفر الخروج (١٢:٢٥ و ١٥:٣٢).

٦٤. ميلر وهوير، تاريخ الكتاب المقدس، ص ١٩.

٦٥. سفر الخروج (١٩:٣٢). الألواح تحطمت أو تلفت على الأرض أسفل الجبل بعد نزول موسى عليه السلام عنه.

٦٦. سفر الخروج (٢٨:٣٤). النص هنا لا يوضح من الذي كتب الرب أم موسى، لكن في سفر التثنية (١٠:٩) يقول موسى

عليه السلام: "سلمني الرب لوحين من الحجر مكتوبين بإصبع الله".

٦٧. ميلر وهوير، تاريخ الكتاب المقدس، ص ١٩.

أي أذى بعد أن القاها موسى عليه السلام. ولا يعرف مصير الألواح ولا متى تم جمع أسفار التوراة الخمسة الأولى، لكن بعض الدراسات التوراتية تشير إلى أن أجزاءً من سفر التثنية عُثِرَ عليها في أثناء عملية صيانة للهيكل في عام ٦٢١ ق. م<sup>(٦٨)</sup>. ومنذ القرن الرابع الميلادي تولت الكنيسة مهمة إصدار قائمة بالكتب المقدسة، وصادق على تلك القائمة في المجالس الكنسية التي عُقدت في فلورنسا في عام ١٤٤١م وفي ترينت في عام ١٥٤٦م والمجلس الأول للفايكان في عام ١٨٧٠م. كما أصدر المجلس الثاني للفايكان في عام ١٩٦٦م مادة مكتوبة تتعلق بموضوع الوحي كمصدر للكتاب المقدس، إلا أن الأبحاث العلمية التي تناولت تاريخ كتابة التوراة تشير إلى أنها ربما جُمعت في القرن السادس قبل الميلاد كما ورد سابقاً. وفي القرن الثالث قبل الميلاد تُرجمت التوراة إلى اللغة اليونانية في عهد الملك بطليموس الثاني (٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م)، وتُعرف هذه الترجمة باسم الترجمة السبعينية نسبة إلى عدد العلماء الذين ترجموها، لكن هناك من يرى من الباحثين أنه كان هناك أكثر من نص للتوراة باللغة العبرية قبل ترجمتها لليونانية، وأن ثلاثة أنماط من النص العبري على الأقل كانت موجودة في القرن الثالث قبل الميلاد استخدمت في الترجمة السبعينية<sup>(٦٩)</sup>. وقد بقيت النصوص المختلفة الأشكال باللغة العبرية موجودة حتى القرن الأول الميلادي عندما وُحِّدَت في نص واحد، إلا أن أقدم نص عبري موجود للتوراة يعود للقرن التاسع الميلادي<sup>(٧٠)</sup>. وفي بداية القرن الخامس الميلادي أصدر القديس جيروم (Jerome) نسخة من التوراة باللغة اللاتينية اعتماداً على وثائق عبرية، وقد عُرفت هذه النسخة في ما بعد بالنسخة الشعبية (Vulgate) نظراً إلى انتشارها الواسع في العالم بعد القرن السابع الميلادي<sup>(٧١)</sup>. كما توجد نسخ أخرى من العهد القديم باللغة الآرامية واللغة السريانية، لكنها غير كاملة<sup>(٧٢)</sup>، وتُعرف النسخة التي تُرجمت إلى الآرامية بعد السبي البابلي بالترجمون نسبةً إلى الكلمة العبرية التي تعني ترجمة أو تفسير. ولم تُدون الترجمات في زمانها، بل مر زمن طويل قبل جمعها في نسخة واحدة ضمت جميع الأسفار باستثناء أسفار عزرا ونحميا ودانيل<sup>(٧٣)</sup>. أما نسخة التوراة باللغة السريانية فتُعرف باسم البشيطه وتعني البسيطة أو النقية؛ تمييزاً لها عن النسخ الأخرى التي كُتبت بالسريانية نقلاً عن الترجمة اليونانية أو السبعينية، وقد لاحظ الباحثون أن هذه النسخة كتبها عدة كتاب في أزمان وأماكن مختلفة وُجمعت في كتاب واحد مع نهاية القرن الأول الميلادي<sup>(٧٤)</sup>.

68. Micheal W. Palmer, **Authorship and Composition of the Torah**, September 11, 2003, p. 6;

<http://greeklanguage.com/bible/palmer/05torahauthorship.pdf>

69. Maurice Bucaille, **The Bible, the Qur'an and Science**, p. 10.

70. Maurice Bucaille, **The Bible, the Qur'an and Science**, p. 10 – 11.

71. Maurice Bucaille, **The Bible, the Qur'an and Science**, p. 11.

72. **Ibid**, p. 11.

٧٣. كانت الحاجة إلى ترجمة العهد القديم للآرامية ملحّة؛ لأن اليهود الذين عادوا من السبي البابلي بعد انتصار الفرس على

البابليين في عام ٥٣٩ ق.م واجهوا مشكلة في فهم العبرية لأنهم كانوا يفهمون الآرامية لغة الإمبراطورية الفارسية. وتقول

الرواية التوراتية في سفر نحميا أن عزرا الكاتب كان يقرأ على قومه بالعبرية بينما كان شخص آخر يترجم لهم بالآرامية.

انظر ميلر وهوير، **تاريخ الكتاب المقدس**، ص ٦٢.

٧٤. **المرجع نفسه**، ص ٦٣.

## التوراة مصدر تاريخي

بعد مناقشة موضوع مصدر التوراة وكتابتها وجمعها والنسخ المختلفة منها، يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي: هل تصلح التوراة مصدرًا تاريخيًا؟ والسبب وراء طرح هذا السؤال هو استخدام التوراة مصدرًا في كثير من الدراسات المتعلقة بتاريخ وآثار العالم على نحو عام والشرق الأوسط على وجه التحديد، على الرغم من أن التوراة كانت في الأصل كتابًا سماويًا يرتبط بالدين وليس بالتاريخ، والسبب في ذلك هو أن التوراة أُخرجت من سياقها الديني نتيجة التطور الذي حصل في العلوم الإنسانية، وأصبحت مصدرًا للتاريخ القديم بالمفهوم العام وليس في الدراسات التوراتية فقط، وتُعمل معها كمجموعة من الوثائق الدينية التي نجمت عن ديانة حية بعدّ الديانة تعبيرًا عن التجربة والثقافة الإنسانية وانعكاسًا لهما<sup>(٧٥)</sup>. لكن استخدام التوراة مصدرًا تاريخيًا أمرٌ فيه محاذير عديدة على رأسها مسألة جوهرية وهي أن التوراة كُتبت وجمعت في أزمان وأماكن لا ترتبط على نحو مباشر بالأحداث التي سجلتها. وتزخر التوراة بالأمثلة التي تؤكد أنها كُتبت في زمن متأخر بالنسبة إلى الأحداث التي تسردها. فالإشارة إلى موسى عليه السلام تأتي دائمًا بصيغة ضمير الغائب وليس المتحدث كما في سفر التثنية (٥:١) في خطابٍ لموسى عليه السلام نصه "هذه هي كلماته" وليس "هذه هي كلماتي". كما استخدمت تعابير لا تدل على أن الأحداث دُوّنت في زمانها مثل "حتى هذا اليوم" أو "في ذلك الوقت". كما أن الأماكن التي ترد في التوراة جاءت غالبًا بأسمائها التي عُرفت بها بعد القرن السادس قبل الميلاد. وتشير التوراة في سفرَي التكوين (١٠:٥٠) والعدد (١٤:٣٤ و ١٤:٣٥) إلى مواقع في شرقي الأردن وتصفها بأنها تقع وراء نهر الأردن على الرغم من أن التوراة تؤكد عدم دخول موسى عليه السلام إلى فلسطين. ولو أن الأحداث كُتبت في زمن موسى لكانت المواقع والمناطق المشار إليها بأنها وراء نهر الأردن في فلسطين وليس في الأردن؛ لأن موسى عليه السلام ألقى نظرة على أرض الميعاد من شرقي الأردن بحسب التوراة. وقد دار جدل علمي حول توظيف التوراة مصدرًا تاريخيًا؛ لأن الكثير من الباحثين يُعدّونها مجرد "سجل عبري لأفعال الرب في التاريخ"، وأنه ليس لديها اهتمام بما يُسمى التاريخ الخالص. وفي المقابل يرى المدافعون عن التوراة أن فيها كل نوع من التاريخ؛ من الأكثر علمانية إلى الأكثر لاهوتًا<sup>(٧٦)</sup>. وقد أورد دارسو النصوص التوراتية بعض الملاحظات العامة التي تقلل من شأنها كمصدر تاريخي؛ الملاحظة الأولى هي عدم ترابط واتساق الروايات واختلافها في الأسفار المختلفة أو في السفر نفسه رغم أنها تتعلق بالأشخاص أنفسهم أو الأحداث ذاتها، والملاحظة الثانية هي التكرار والازدواجية في سرد الأحداث التي يصعب متابعتها أو معرفة نهايتها بسبب سردها أكثر من مرة<sup>(٧٧)</sup>. أما مصداقية

75. Whiting, Charlotte M., **Complexity and diversity in the late iron age southern Levant: the investigation of 'Edomite' archaeology and scholarly discourse**, Durham theses, Durham University, 2002, p. 17 - 18. Available at Durham E-Theses Online: <http://etheses.dur.ac.uk/4102>.

76. Robert H. Pfeiffer, 1951, Facts and Faith in Biblical History, **Journal of Biblical Literature**, Vol. 70, No. 1, pp. 1-14.

77. Notes from John Barton, "Source Criticism," **The Anchor Bible Dictionary** see <http://www.ucalgary.ca/eslinger/genrels/DocHypothesis.html>.

التوراة كمصدر لدراسة تاريخ وأثار منطقة الشرق الأوسط فقد تناولتها عدد من الدراسات التي خرجت عن المؤلف وقدمت قراءات وتفسيرات تتعارض على نحو كبير مع الطروحات التقليدية. وتعد دراسة كل من إسرائيل فينكلشتاين (Israel Finkelstein) وسيلبارمان (Silberman) الأكثر جرأة وقوة في الطرح، ونُشرت في عام ٢٠٠١م على هيئة كتاب<sup>(٧٨)</sup>. وقد أوضح مؤلفا الكتاب أن الغاية منه هي تقديم الاكتشافات الأثرية الجديدة التي تتحدى الفرضيات التقليدية بأن التوراة مصدر تاريخي موثوق. وفي هذا السياق يشيران إلى غياب خروج بني إسرائيل من المصادر المصرية التي لا يرد فيها ذكر لاسم إسرائيل أو بني إسرائيل<sup>(٧٩)</sup>. ويرد البعض على ذلك بالقول إن خروج بني إسرائيل كان هزيمة للمصريين من وجهة نظر التوراة، وهذا يفسر عدم ذكر الحادثة في مصادرهم، وأن الهوية الجامعة لبني إسرائيل تشكلت في سيناء بعد خروجهم من مصر. كما أنهما يقترحان أن المظاهر الثقافية التي ورد ذكرها في الرواية التوراتية حول يوسف عليه السلام والخروج أُعيد إنتاجها في القرن السابع قبل الميلاد من خلال استذكار ومحاكاة أحداث تعود للألف الثانية قبل الميلاد<sup>(٨٠)</sup>. ويميل مؤلفا الكتاب إلى التشكيك في حادثة التيه بسبب غياب الدليل الأثري من منطقة سيناء؛ فالتوراة تشير إلى أن عدد بني إسرائيل عند خروجهم من مصر كان نحو ستمائة ألف إنسان، وهذا العدد بالنسبة إلى فينكلشتاين وسيلبارمان كبير بما يكفي لترك آثار في منطقة التيه. لكن الدراسات الأثرية لم تسفر حتى الآن عن آثار ترتبط ببني إسرائيل في سنوات التيه في سيناء، لكنها في المقابل كشفت عن آثار من جقب أقدم تركتها مجموعات من البدو الرحل. كما أن الدراسات الأثرية لا تدعم ما جاء في التوراة حول ازدهار الكثير من المواقع التي ورد ذكرها أيام خروج بني إسرائيل من مصر وما تلاها من أحداث. ففي شرقي الأردن ورد ذكر كل من ذيبان وحسبان في معرض حديث التوراة عن دخول بني إسرائيل لأرض الميعاد، لكن الاكتشافات الأثرية في كلا الموقعين تشير إلى أنه لم يكن فيهما استيطان في تلك الأيام، في حين أن المواقع المستوطنة آنذاك، ومنها تل العميري<sup>(٨١)</sup> لم يرد ذكرها في التوراة<sup>(٨٢)</sup>. وجاء في التوراة<sup>(٨٣)</sup> أيضاً أن موسى عليه السلام أرسل إلى ملك آدوم ليجوز لهم بالمرور من أراضي دولته عبر الطريق الملكي، لكن الرد جاء بالرفض رغم تعهد بني إسرائيل بعدم استخدام مصادر المياه أو المراعي. لكن مرة أخرى تشير الدراسات الأثرية إلى أن آدوم لم تكن مزدهرة كدولة قبل القرن السابع قبل الميلاد، فكيف يكون لها ملك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد؟!<sup>(٨٤)</sup>. ولم يثبت حتى الوقت الحاضر وجود دمار في المواقع

78. Finkelstein, Israel and Neil Asher Silberman. **The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts**. New York: The Free Press. Hardback, 2001.

79. **Ibid**, pp. 59 – 60.

80. **Ibid**, pp. 65 – 71.

٨١. تل العميري: تل أثري على مرتفع طبيعي في الطرف الجنوبي الغربي من عمان على طريق مطار عمان الدولي.

82. Irina Russell, **The Settlers in the Central Hill Country of Palestine during Iron Age I (ca 1200-1000 bce): where did they come from and why did they move?**, unpublished MA thesis, University of South Africa, 2009, p. 22.

٨٣. سفر العدد (٢٠: ١٤ – ٢١).

84. Russell, **The Settlers in the Central**, p. 23.

التي ذكرت التوراة أن بني إسرائيل دمروها وهم في طريقهم إلى أرض الميعاد؛ لأن الكثير منها لم يكن مزدهراً أيام خروجهم أو أن الدمار سابق لها أو بسبب عوامل طبيعية، ومعظم مواقع جنوبي الأردن التي ذكرتها التوراة في سفر الخروج لم تكن مستوطنة آنذاك (القرن الثاني عشر ق.م). وتذكر التوراة أيضاً أن بني إسرائيل دمروا مدناً كنعانية في النقب جنوبي فلسطين، لكن الدراسات الأثرية التي أجراها علماء آثار إسرائيليون خلّصت إلى أنه لم يكن هناك أية مدن مسورة في النقب مع نهاية العصر البرونزي أو زمن دخول بني إسرائيل لأرض الميعاد<sup>(٨٥)</sup>. وبسبب حالة عدم الانسجام الكبيرة هذه بين علم الآثار والرواية التوراتية فقد استنتج ديفر (Dever) أن الرواية التوراتية عن زمن الخروج والتيه لا يمكن عدّها تاريخاً حقيقياً، وأن سفر العدد يعكس على الأرجح الأوضاع في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وليس في حِقبة زمنية أقدم<sup>(٨٦)</sup>. وقد ذهب البعض إلى حد القول إن النص التوراتي أو الرواية التوراتية التي تتعلق بالمملكة المتحدة (مملكة داود وسليمان عليهما السلام) ليست سوى خُرافة دينية فُرِضت على تاريخ إسرائيل من عصور لاحقة تلت زمن الخروج واستمر التعديل عليها حتى الحِقبة الهلنستية. فالأدلة الأثرية لا تدعم الرواية التوراتية والأدلة التاريخية غائبة قرابة أربعة قرون من نهاية القرن الثاني عشر وحتى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، باستثناء بعض الأدلة التاريخية المهمة مثل نقش ميشع ومسلة شوشنق<sup>(٨٧)</sup>.

### قادش والخروج

قبل الحديث عن موقع جبل هور ووفاة هارون عليه السلام لا بد من تناول الموقع التوراتي المعروف باسم قادش (Kadesh)؛ لأن قادش هي المكان الذي انتقل منه بنو إسرائيل إلى جبل هور حيث مات هارون عليه السلام كما جاء في التوراة<sup>(٨٨)</sup>. وعليه، فإن تحديد الموقع الجغرافي الصحيح لقادش يسهم على نحو كبير جداً في تحديد موقع جبل هور أو الجبل الذي مات عليه هارون عليه السلام. وتحتل قادش مكانةً كبيرة في تاريخ بني إسرائيل وفي الدراسات التوراتية التي تناولت قصة خروجهم من مصر إلى أرض الميعاد، ويرى البعض أنها لا تقل أهمية عن سيناء إن لم تكن تضاهيها. وقد ورد ذكرها بشكل أساس في الأسفار<sup>(٨٩)</sup> التي تناولت أحداث الخروج، علماً بأنها ذُكرت لأول مرة في سفر التكوين (٧:١٤ و ١٧:١٤ و ١:٢٠). وقد ورد الاسم بصيغتين؛ الأولى قادش والثانية قادش برنيع في أكثر من موضع في التوراة. وكلمة قادش كلمة عبرية تعني مقدس، وهي تقابل كلمة قدس أو القدس في اللغة

85. Russell, **The Settlers in the Central**, pp. 22 -23; Aharoni, Y, nothing early and nothing late: re-writing Israel's conquest, **BA** 39: pp. 55-76, 1976, p. 71.

86. Dever, WG, **Who were the early Israelites and where did they come from?**, Grand Rapids: William B Eerdmans, 2003, pp. 28 – 29.

87. Nicolae Roddy, **The Bible Unearthed in the Context of the Tenth Century (BCE) Debate**, **Journal of Religion & Society**, vol 3, 2001, pp. 1 - 10.

٨٨. سفر العدد (٢٢:٢٠ و ٣٧:٣٣).

٨٩. سفر العدد (٢٦:١٣ و ١:٢٠ و ١٤:٢٠ و ١٦:٢٠ و ٢٢:٢٠ و ١٤:٢٧ و ٨:٣٢ و ٣٦:٣٣ و ٣٧:٣٣ و ٤:٣٤) وسفر التثنية (٢:١ و ١٩:١ و ٤٦:٢ و ٢٣:٩ و ٥١:٣٣).

العربية كما يرى ترومبل<sup>(٩٠)</sup> (Trumbull). أما كلمة برنيع (barnea) المقطع الثاني من الاسم فلا يُعرف معناها على وجه التحديد<sup>(٩١)</sup>. وتكمن أهمية قادش في عدة أمور بسبب ارتباطها بأحداث مهمة في تاريخ بني إسرائيل التوراتي. فقادش محطة رئيسة في رحلة التيه، وكانوا يعودون لها في كل مرة يفشلون فيها في الخروج من أرض التيه، وفيها تجمعوا للمرة الأخيرة قبل تحركهم إلى أرض الميعاد<sup>(٩٢)</sup>. ومن قادش أرسل موسى الجواسيس الإثني عشر إلى أرض كنعان بناءً على أوامر الرب<sup>(٩٣)</sup>. ومنها أيضاً أرسل موسى عليه السلام رسله إلى ملك آدوم يطلب منه الإذن ليسلك بنو إسرائيل الطريق الملوكي إلى أرض الميعاد مروراً بآدوم<sup>(٩٤)</sup>. وفي قادش تُوفيت مريم أخت موسى عليه السلام ودُفنت هناك<sup>(٩٥)</sup>. وفيها استسقى موسى لقومه بعد أن أصابهم العطش وحملوه مسؤولية خروجهم من مصر واشتكووا من قلة الثمار كالتين والرمان والعنب، فضرب الحجر بعصاه مرتين فخرج منه الماء فشرب بنو إسرائيل جميعاً وشربت دوابهم. وتقول التوراة إن الرب منع بني إسرائيل ومن بينهم موسى وهارون عليهما السلام من دخول أرض الميعاد بسبب عدم صبرهم وتعديهم عليه بالقول في تلك الحادثة<sup>(٩٦)</sup>. وبسبب أهمية قادش وأهمية الأحداث التي جرت فيها فقد حاول عددٌ من الباحثين التوراتيين تحديد الموقع الجغرافي الصحيح لقادش لأن النص التوراتي لا يحدد مكانها على نحو دقيق (الشكل ٢). فالتوراة تعطي أوصافاً عامة للمكان وأنه يقع ما بين بيرة باران (Paran) كما جاء في سفر العدد (٣:١٣) وبيرة صن (Zin) كما جاء في السفر نفسه (١٧:١٣) على بعد أحد عشر يوماً من المسير من جبل سيناء<sup>(٩٧)</sup>. وفي سفر يوشع (٣:١٥) وُصفت بأنها تقع على الطرف الجنوبي لمنطقة يهودا<sup>(٩٨)</sup>، ومدينة على حدود آدوم في سفر العدد (١٦:٢٠). وفي القرن التاسع عشر الميلادي حاول بعض الباحثين والرحالة المهتمين بالجغرافيا التوراتية تحديد موقع قادش فقاموا باستكشاف المنطقة من الطرف الجنوبي للبحر الميت وحتى أقصى جنوبي صحراء النقب جنوبي فلسطين. ونتيجةً لتلك الجهود اقترح الرحالة والباحثون عشرين مكاناً كمواقع محتملة لقادش<sup>(٩٩)</sup>. لكن كثيراً منها كانت مجرد تكهنات غير

90. Trumbull, **Kadesh-Barnea**, p. 16.

٩١. ورد أيضاً اسم قادش مسبوفاً بكلمة Meribath بالعبرية والتي تعني المشقة أو العناء في إشارة إلى معاناة بني إسرائيل فترة الخروج والعطش الذي أصابهم في قادش. وقادش اسم مكان في سوريا يقع على نهر العاصي، انظر:

Dale W. Manor, **Kadesh-Barnea**, in David Noel Freedman (editor), **The Anchor Biblical Dictionary**, Vol 4, Doubleday, New York, 1992, p. IV. 1 & p. IV 3.

٩٢. سفر التثنية (١٩:١ و ٤٦:١ و ١٤:٢) وانظر أيضاً: Trumbull, **Kadesh-Barnea**, p. 15.

٩٣. سفر العدد (٢:١٣ و ٣:١٣ و ٢٦:١٣).

٩٤. سفر العدد (١٤:٢٠ - ٢١).

٩٥. سفر العدد (١:٢٠).

٩٦. سفر العدد (٢:٢٠ - ١٣)، وانظر: Trumbull, **Kadesh-Barnea**, pp. 15 - 16.

97. Edward Hull, **Mount Seir, Sinai and Western Palestine**, Richard Bentley and Son, London, 1885, p. 188.

٩٨. يهودا أو جودايا هو اسم توراتي أُطلق على مملكة الجنوب الإسرائيلية في المرحلة الثانية من العصر الحديدي حسب التوراة.

99. Edward L. Wilson, **In Scripture Lands**, Charles Scribner's Sons, New York, 1890, p. 117.

منطقية باستثناء بعض الاقتراحات التي لاقت قبولاً لدى المهتمين بهذا الشأن<sup>(١٠٠)</sup>. ففي عام ١٨٣١م اقترح فون رومر (K. von Raumer) مكاناً يُعرف باسم عين حصب في وادي عربة كموقعٍ محتمل لقادش. ومن الاقتراحات البارزة حول موقع قادش اقتراح روبنسون (Robinson) في عام ١٨٣٨م في أثناء عودته من البترا إلى الخليل عبر وادي عربة. ففي الثاني من حزيران عام ١٨٣٨م وصل روبنسون ومرافقه إلى عين الوعية في الجانب الشرقي من وادي عربة على بعد يومين من المسير على الجمل إلى الغرب من البترا<sup>(١٠١)</sup>. وقد رجح روبنسون عين الوعية<sup>(١٠٢)</sup> كموقع محتمل لقادش لعدة أسباب أبرزها: أنها مورد ماء رئيس في وادي عربة، وأنها تقع على حدود آدوم، ومنها يمكن للناظر مشاهدة جبل هور (جبل هارون) بسهولة، وإلى الشمال الغربي منها الجبل الذي قيل أن بني إسرائيل صعده في طريقهم إلى أرض الميعاد لكنهم رُدّوا على أعقابهم. وهذه الأسباب تتسجم بالنسبة إلى روبنسون مع الرواية التوراتية المتعلقة بقادش<sup>(١٠٣)</sup>. وفي عام ١٨٨٢م زار الرحالة ويلسون (Wilson) المكان نفسه ولم يقتنع باقتراح روبنسون واستبعد أن تكون عين الوعية هي قادش؛ لأنه ليس فيها أية آثار استيطان وحتى كومة الحجارة التي قيل إنها قبر ميريام أخت موسى عليه السلام تبين أنها طبيعية، وأن السبب الوحيد لاختيارها هو أنها مصدر الماء الوحيد في المنطقة<sup>(١٠٤)</sup>. وعلى الرغم من مقترح روبنسون ومبرراته وقبوله لدى عدد كبير من الباحثين، فإن الأمر لم يُحسم واستمر البحث عن قادش الحقيقية، وانتقل البحث إلى منطقة شمالي سيناء بعدها المنطقة الأكثر احتمالاً لموقع قادش بالنظر إلى أهميتها الدينية والتاريخية. وفي عام ١٨٤٢م كان جون رولاندز (John Rowlands) استكشف الطرف الجنوبي من فلسطين مرتين في محاولةٍ منه لفهم الجغرافيا التوراتية، واكتشاف المواقع المهمة مثل قادش. في المرة الأولى انطلق من الخليل برفقة دليله الشيخ سالم التياها الذي ذكر له وجود موقع يُعرف باسم قديس، لكنهم لم يتمكنوا من البحث عنه في تلك الرحلة فعادوا أدرجهم إلى القدس. في الرحلة الثانية انطلق من القدس متوجهاً إلى مصر مروراً بغزة، واستعان بشيخين من عرب الترابين بحثاً عن قادش. وبعد عدة محاولات في لفظ اسم قادش باللغة العربية أكد الرجلان له وجود مكان في المنطقة يُعرف باسم عين قديس. قام رولاندز (Rowlands) على الفور باكتشاف الموقع، وأكد في رسالة لصديقه ويليامز (Williams) هذا الاكتشاف وقدم فيها ثمانية أدلة تؤكد صحته، أبرزها الاسم العربي الذي يتوافق مع الاسم العبري للمكان، بالإضافة إلى موقعه الجغرافي في أقصى جنوبي فلسطين

١٠٠. لمزيد من المعلومات عن الآراء المختلفة حول موقع قادش منذ القرن الثامن عشر الميلادي، انظر:

Trumbull, **Kadesh-Barnea**, pp. 203 – 211.

101. Edward Robinson & Eli Smith, **Biblical Researchers in Palestine, Mount Sinai and Arabia Petraea**, Crocker and Brewster, Vol 2, 1841, pp. 580 – 583. Wilson, **In Scripture Lands**, p. 117; Hull, **Mount Seir**, p. 188.

١٠٢. عين الوعية تقع على بعد ٥٢ كم جنوبي البحر الميت و ٣٣ كم تقريباً غربي جبل هارون في البترا، انظر: Robinson & Smith, **Biblical Researchers**, vol 2, p. 175 and p. 194.

103. Robinson & Smith, **Biblical Researchers**, vol 2, 1841, p. 583.

104. Wilson, **In Scripture Lands**, pp. 122-123.

كما جاء في الوصف العام في التوراة<sup>(١٠٥)</sup>. لكن اكتشاف رولاندز هذا لم يلق قبولاً وانتشاراً بحجم الاكتشاف في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وظل رأي روبنسون حول قادش هو الأقوى؛ لأن الأخير كانت له شهرة كبيرة كمختص في الجغرافيا التوراتية وبسبب نشره لرأيه حول موقع قادش في كتاب من مجلدين. أما علماء التوراة ودارسوها في ألمانيا فقد قبلوا اكتشاف رولاندز واعتمده في ما يخص الموقع الجغرافي لقادش، ونشروا رأيهم الداعم لاكتشاف رولاندز في مجلات وموسوعات علمية تُرجمت إلى الإنجليزية. فالتسعت دائرة قبول واعتماد هذا الاكتشاف، الأمر الذي دفع روبنسون إلى الدفاع عن رأيه والتقليل من شأن اكتشاف رولاندز بعد انتشار خبر اكتشافه في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية<sup>(١٠٦)</sup>. وقد حاول كثير من المستكشفين والمهتمين بالجغرافيا التوراتية زيارة عين قديس وتحديد موقعها الجغرافي على نحو دقيق، إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل رغم الجهود التي بذلوها لهذه الغاية. ولم يتمكن أي مستكشف من إعادة اكتشاف عين قديس أو قادش التي اكتشفها رولاندز في عام ١٨٤٢م مدة طويلة من الزمن<sup>(١٠٧)</sup>. وفي بداية عام ١٨٨١م تمكن الباحث والمستكشف ترومبل (Trumbull) من إعادة اكتشاف الموقع، وقدمه للعالم بأسلوب أدبي مميز ومؤثر في كتاب نشره في عام ١٨٨٤م<sup>(١٠٨)</sup>. وقد أدت قصة إعادة الاكتشاف هذه دوراً كبيراً في تسليط الضوء من جديد على اكتشاف رولاندز لقادش، ورسخت اسم عين قديس كأكثر المواقع ترشيحاً لقادش التوراتية<sup>(١٠٩)</sup>. ومنذ بدايات القرن العشرين الميلادي بدأ كثير من الباحثين في ترجيح كفة عين القديرات كموقعٍ محتمل

١٠٥. تقع عين قديس على بعد ٥٢ كم إلى الغرب من وادي عربة ضمن تلال التيه، انظر Hull, Mount Seir, p. 188. لم يقم رولاندز (Rowlands) بنشر اكتشافه في كتاب أو في مجلة علمية لذلك لم يحظى هذا الاكتشاف بانتشار واسع، لكن صديقه ويليامز نشر رسالة رولاندز عن قادش في ملحق في كتابه عن مدينة القدس، انظر:

George Williams, **The Holy City**, London, John W. Parker, West Strand, 1849 appendix 1, pp. 463 – 468.

١٠٦. أثار روبنسون مسألة مهمة وقوية وهي أن رولاندز ربما يكون يتحدث عن عين القديرات إلى الشمال من عين قديس وأنه خلط بين الموقعين. لمزيد من المعلومات حول اكتشاف رولاندز ورد روبنسون عليه انظر Trumbull, **Kadesh-Barnea**, pp. 216 – 229. ومن الباحثين البارزين في الدراسات التوراتية الناطقين باللغة الإنجليزية الذين قبلوا اكتشاف رولاندز المستشرق الشهير بالمر (Palmer)، لكنه يرى أن رولاندز زار عين القديرات وليس عين قديس. كما أنه رفض رأي روبنسون فيما يخص عين الوعية كموقع لقادش، انظر:

E. H. Palmer, **The Desert of the Exodus**, Cambridge and London, Bell and Daldy, 1871, vol 2, pp. 282 – 287.

١٠٧. لمزيد من المعلومات حول أسماء المستكشفين وتواريخ ونتائج محاولاتهم إعادة اكتشاف عين قديس، انظر: Trumbull, **Kadesh-Barnea**, 1884, pp. 229 – 234. .

١٠٨. لمعرفة تفاصيل رحلة ترومبل وإعادة الاكتشاف انظر:

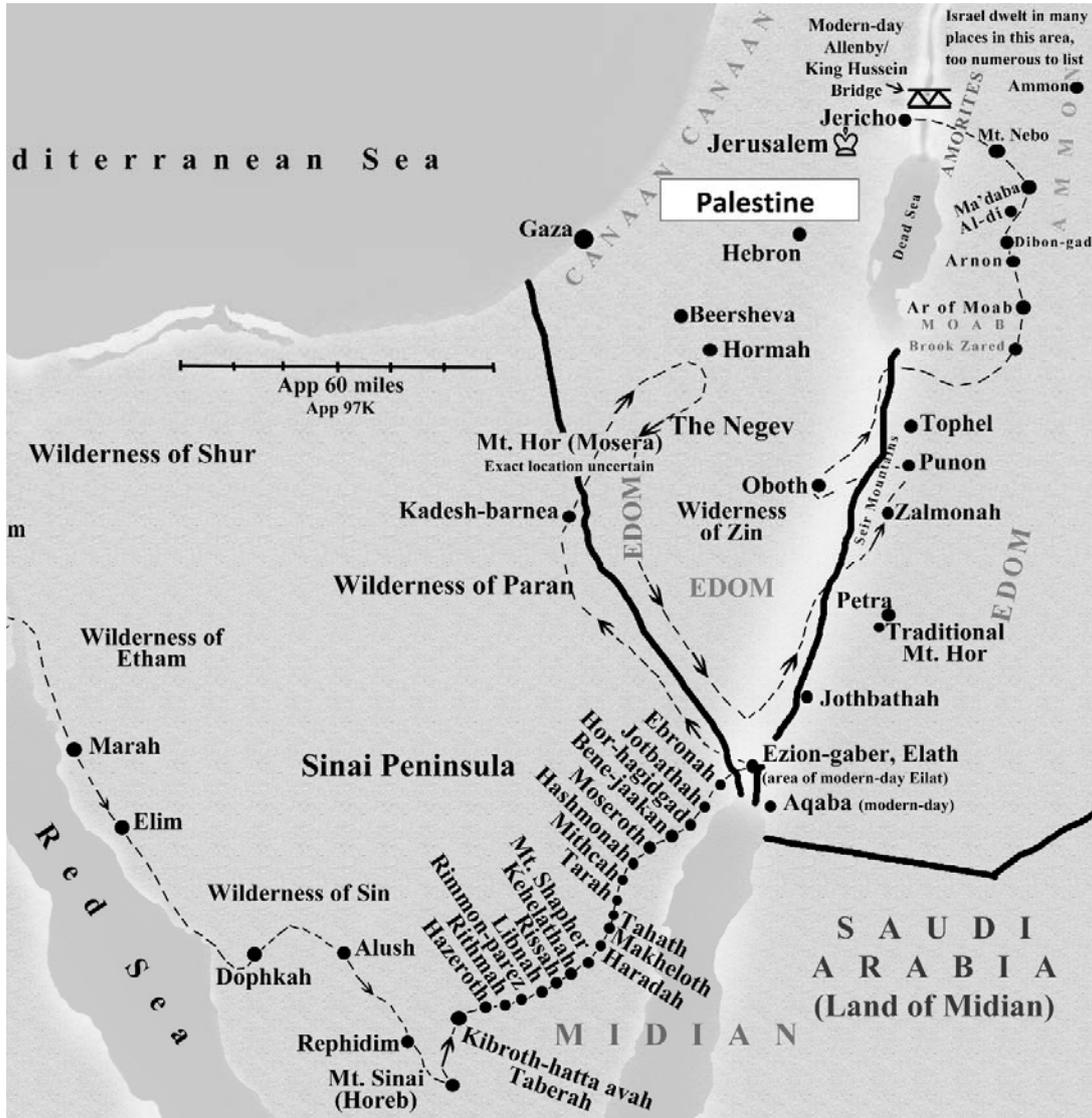
١. Trumbull, **Kadesh-Barnea**, 1884, pp. 237 - 280

١٠٩. يقبل معظم الباحثين التوراتيين المعاصرين عين قديس بأن تكون الموقع الأكثر احتمالاً لقادش، لكن البعض لا يستبعد عين القديرات، انظر: MacDonald, **"East of the Jordan"**, p. 69.

لقادش؛ لأن بيئة عين قديس لا تتفق تماماً مع الوصف التوراتي. ففي عام ١٩٠٥م استنتج الباحث شميت (Schmidt) بأن الوصف التوراتي ينطبق أكثر على عين القديرات. وفي عام ١٩١٤م درس كل من وولي ولورنس (Woolley & Lawrence) على نحو مكثف منطقة عين القديرات وأجريا حفريات في الموقع وأكدوا استنتاج شميت؛ لأن عين القديرات تقع على مفترق طرق بين السويس من جهة وبئر السبع والخليل من جهة أخرى. كما أنها أكبر واحة في شمالي سيناء وفيها عين ماء غزيرة وبقايا أثرية. وقد نقب علماء آثار إسرائيليون في الموقع في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، وتم الكشف عن آثار قلعة على التل المجاور للعين<sup>(١١٠)</sup>. إلا أن التنقيبات الأثرية لم تسفر عن آثار من زمن الخروج رغم الكشف عن أدلة على استيطان الموقع في حقب سابقة ولاحقة لزمن الخروج. وقد عزا مانور (Manor) هذا الغياب إلى ثلاثة أسباب: الأول أنها ليست قادش التي تحدثت عنها التوراة، والثاني أن المزيد من الحفريات قد تكشف عن أدلة أثرية يمكن ربطها ببني إسرائيل مع اعترافه بأن الآثار المكتشفة لا تعكس نشاطاً بشرياً يتناسب مع عدد بني إسرائيل زمن الخروج كما جاء في التوراة، والثالث أن الخروج لم يحدث بالطريقة التي تذكرها التوراة كما يقترح عددٌ غير قليل من الباحثين<sup>(١١١)</sup>. وعلى الرغم من عدم الاتفاق على موقع واحد، فإن غالبية الباحثين التوراتيين باتوا مقتنعين بأن قادش تقع في الطرف الجنوبي لفلسطين وليس في وادي عربة، ولم يعد اقتراح روبنسون في ما يخص عين الوعبية يتصدر قائمة المواقع الأكثر احتمالاً لقادش. والنقاش السابق يوضح الصعوبة الحقيقية في إسقاط النص التوراتي على جغرافية المنطقة؛ فالتوراة لم تُكتب زمن الأحداث والمواقع لم تحتفظ بأسمائها القديمة التي عُرفت بها زمن كتابة التوراة. وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة، فإن الباحثين فشلوا في تحديد موقع ذي أهمية بالغة في تاريخ بني إسرائيل التوراتي. وإذا كانت هذه هي الحال مع المواقع الرئيسية مثل قادش، فإن الأمر يزداد صعوبة مع المواقع الأقل أهمية.

110. Manor, **Kadesh-Barnea**, p. IV. 1

111. **Ibid**, p. IV. 3



الشكل ٢: خريطة تبين أحد الطرق المحتملة لخروج بني إسرائيل من مصر حسب الرواية التوراتية، ويظهر عليها موقع قادش وجبل هور بالقرب من البترا حسب الموروث الديني وجبل هور الحقيقي بالقرب من قادش برنيع.

## البترا وقادش

قد يستغرب القارئ مناقشة العلاقة بين البترا وقادش بعد تناول موضوع قادش وموقعها الجغرافي والاقتراحات المختلفة حول ذلك في الجزء السابق من الدراسة. إن السبب وراء طرح هذا الموضوع هو أن بعض الباحثين المتأخرين والمعاصرين يعتقدون أن قادش التوراتية هي البترا. وسبب هذا الاعتقاد هو ورود اسم آخر في الترجمات والتلمود كاسم مرادف لقادش وقادش برنيع، وهو كلمة رقام (Reqam) ورقيم جايه (Reqem-Giah). كما وردت كلمة رقيم في التلمود لتدل على البترا<sup>(١١٢)</sup>، ومما لا شك فيه أن هذا الاسم هو الاسم المحلي الذي عُرفت به البترا عند الأنباط كما جاء في بعض النقوش النبطية والمصادر التاريخية<sup>(١١٣)</sup>. والسؤال الوجيه هنا هو هل قادش هي البترا؟ أم أن كلمة رقيم هي اسم وصفي للمكان ينطبق على البترا وقادش معاً؟ وقد تبين من النقاش السابق أن نقطة الخلاف بين الباحثين هي الموقع المحتمل لقادش، ولم يتحدث أي من رواد الجغرافيا التوراتية عن البترا كموقع محتمل لقادش. ومنذ عدة قرون أشار بعض الباحثين التوراتيين إلى أن قادش عُرفت باسم رقام (رقيم) بسبب ترجمة الاسم من العبرية من قبل المترجمين الشرقيين، وأنه لا يوجد موقعان يحملان اسم قادش<sup>(١١٤)</sup>. ولم يرد عند كل من المؤرخين الكنسيين يوسيبوس ولا جيروم، لا بالتصريح ولا بالتلميح، أن البترا هي قادش بالرغم من ذكرهما اسم الرقيم كاسم للبترا نقلاً عن يوسيفوس. وقد استعرض ترومبل (Trumbull) على نحو مفصل دلالات كلمة رقم واشتقاقاتها المختلفة في اللغات العبرية والسريانية والعربية، وخُص إلى نتيجة مفادها أن كلمة رقم بجميع أشكالها هي صفة مكان وليست اسم مكان، وأنها تحمل معاني عديدة، خصوصاً في اللغة العربية. ولعل المعاني الأبرز المشتركة بين الموقعين تلك المرتبطة بالصخر كالنحت والضرب والشق؛ فالبترا مدينة محاطة بالصخور ومعالمها منحوتة بالصخر وقادش ارتبطت بها حادثة خروج الماء من الصخرة بعد أن ضربها موسى عليه السلام<sup>(١١٥)</sup>. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك اسماً آخر بمعنى الصخرة هو السلع (Sel'a) عُرفت به كل من قادش والبترا<sup>(١١٦)</sup>. وخلاصة القول إن البترا لا يمكن أن تكون قادش نظراً لموقعها في قلب آدوم، بالإضافة إلى وجود شبه إجماع بين الباحثين المختصين بالجغرافيا التوراتية وتاريخ بني إسرائيل على أن قادش تقع في الطرف الجنوبي من فلسطين. أما الأسماء المشتركة التي عُرف بها كل من الموقعين فهي أسماء وصفية تتعلق بطبيعة المكان والأحداث المرتبطة به، مع التذكير بأن أهم مراحل كتابة وجمع التوراة تمت في الزمن الذي كانت فيه البترا مدينة مزدهرة ومهمة في المنطقة. كما أن استنكار كثير من التاريخ التوراتي حصل في الحقب البيزنطية من قبل رجال دين ومؤرخين كتبوا التاريخ في زمن كانت البترا فيه ما تزال تحتفظ بشيء من بريقها كواحدة من حواضر الشرق ولا يضاهيها مكان في ما

112. Trumbull, *Kadesh-Barnea*, pp. 167 – 169.

١١٣. زياد السلامين، (رقم = الرقيم) في المصادر التاريخية والنقشية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد (٣١)، رمضان ١٤٣٦ هـ/ يوليو ٢٠١٥م، ص ١٧ – ٢٥.

114. Trumbull, *Kadesh-Barnea*, p. 169.

115. Trumbull, *Kadesh-Barnea*, pp. 170 – 180.

116. *Ibid*, pp. 123 – 126.

يعرف بالأرض المقدسة. ولا شك في أن البريق الحضاري للبترا في عهد يوسيفيوس وما تبقى منه في عهد يوسيبوس وجيروم جعلهم يحاولون الربط بين البترا والجغرافيا التوراتية مستغلين موقع البترا القريب من فلسطين وتضارب الرواية التوراتية وعدم وضوحها في ما يخص قادش.

### وفاة هارون عليه السلام

وردت حادثة وفاة هارون عليه السلام في سفر العدد في عدة مواضع (٢٠: ٢٢ - ٢٩). والرواية التوراتية حول وفاة هارون عليه السلام مفادها أنه بعد وصول بني إسرائيل إلى جبل هور قادمين من قادش، أخبر الرب موسى عليه السلام بأنه سيقبض روح هارون عليه السلام على قمة جبل هور. وتشير التوراة إلى أن الرب قرر حرمان هارون من دخول أرض الميعاد لأن موسى وهارون لم يلتزما بأمره في قادش حيث ضرب موسى الحجر بعصاه فخرج منه الماء ولم يخاطبها كما أمره الرب. وكان الأمر بأن يصعد موسى وهارون إلى قمة الجبل ومعهم اليعازر ابن هارون عليه السلام، وأن ينزع موسى الثياب عن أخيه هارون ويضعها على اليعازر. امتثل موسى عليه السلام للأمر وصعد قمة الجبل وبرفقتة هارون وابنه اليعازر ونزع ثياب هارون ووضعها على ابنه ومات هارون على قمة الجبل على مرأى من جميع بني إسرائيل. نزل موسى عليه السلام واليعازر عن قمة الجبل وظل بنو إسرائيل ينوحون على هارون عليه السلام مدة ثلاثين يوماً. وورد في السفر نفسه أيضاً (العدد ٣٣: ٣٧-٣٩) أن هارون مات على جبل هور في اليوم الأول من الشهر الخامس في السنة الأربعين بعد خروج بني إسرائيل من مصر عن عمرٍ بلغ مائة وثلاثة وعشرين سنة. ويورد الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) في وفاة هارون عليه السلام رواية مختلفة عن الرواية التوراتية منسوبة إلى ناس من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام. وفي ما يأتي نص تلك الرواية: "ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى، أني متفو هارون، فأنت به جبل كذا وكذا. فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل، فإذا هما بشجرة لم ير مثلها، وإذا هما ببيتٍ مبني، وإذا هما فيه بسريرٍ عليه فرش، وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، فقال: يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فم عليه، قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي، قال له موسى: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فم، قال: يا موسى بل نم معي، فإن جاء رب البيت غضب علي وعليك جميعاً، فلما ناما أخذ هارون الموت، فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل، وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتل هارون وحسده لحب بني إسرائيل له، وكان هارون أكف عنهم و ألين لهم من موسى، وكان في موسى بعض الغلظ عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم! كان أخي، أفترونني أقتله! فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّقوه"<sup>(١١٧)</sup>.

١١٧. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك "تاريخ الطبري"، تقديم أبو صهيب الكرمي، بيت

الأفكار الدولية، عمان، ص ١٤٤ - ١٤٥.

وينقل الطبري روايةً أخرى حول وفاة هارون عليه السلام يقول فيها: "حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن أبي سلمة، عن أبي سنان الشيباني، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: مات موسى وهارون جميعاً في التيه، مات هارون قبل موسى، وكانا خرجا جميعاً في التيه إلى بعض الكهوف، فمات هارون، فدفنه موسى، وانصرف موسى إلى بني إسرائيل، فقالوا: ما فعل هارون، قال: مات، قالوا: كذبت ولكنك قتلتنا إياه، وكان محبباً في بني إسرائيل، فتضرع موسى إلى ربه، وشكا ما لقي من بني إسرائيل، فأوحى الله إليه أن أنطلق بهم إلى موضع قبرة، فإني باعته حتى يخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله. قال: فانطلق بهم إلى قبر هارون، فنادى: يا هارون، فخرج من قبره ينفض رأسه، فقال: أنا قتلتك؟ قال: لا والله، ولكني مت، قال فعد إلى مضجعتك، وانصرفوا<sup>(١١٨)</sup>.

### أين يقع جبل هور الحقيقي؟

تذكر التوراة بوضوح أن جبل هور الذي مات عليه هارون عليه السلام هو المحطة التالية بعد قادش عندما كان بنو إسرائيل في طريقهم إلى أرض الميعاد. وقد تبين من النقاش الذي دار حول الموقع الحقيقي لقادش أنها تقع في الطرف الجنوبي لفلسطين على مفترق طرق بين مصر وفلسطين وآدم في الأردن على الأرجح. ولأن جبل هور هو المحطة التالية بعد قادش؛ فالراجح أنه يقع في مكان قريب منها. إن فكرة الربط بين جبل هور التوراتي والجبل المعروف بجبل هارون أو جبل النبي هارون بالقرب من البترا تعود جذورها إلى الحقبين الرومانية والبيزنطية عند كل من يوسيفوس ويوسيبوس وجيروم. ويرى هؤلاء المؤرخين بأن جبل هور يقع بالقرب من البترا دون تقديم أي دليل على ذلك أو حتى تحديد موقع ذلك الجبل. ويرى ترومبل (Trumbull) أن هذا خطأ وقع به أولئك المؤرخون بسبب الخلط الموجود في عصرهم والعصور السابقة واللاحقة بين الصخرة قادش والصخرة البترا<sup>(١١٩)</sup>. هذا الرأي أصبح موروثاً وترسخ أكثر في الحقب البيزنطية حين أصبحت أحداث العهد القديم جزءاً من الموروث الديني في تلك الحقب، وبدأ رجال الدين يستذكرون تلك الأحداث في محاولة منهم لرسم خريطة الجغرافيا الدينية للأرض المقدسة. ومما لا شك فيه أن ازدهار البترا في القرون الأولى بعد الميلاد أثر على نحو كبير في تصورهم لجغرافية المنطقة التاريخية، خصوصاً أن التوراة تصف جبل هور بأنه يقع على حدود أرض آدم التي تقع البترا في قلبها. هذا الموروث، وعلى الرغم من قبوله لمدة طويلة، فإنه هش ولا يستند إلى أدلة تاريخية أو علمية دامغة. وقد قدم الباحث الأمريكي ترومبل (Trumbull) مجموعة من الأدلة والحقائق التي تدحض الموروث التاريخي في ما يخص موقع جبل هور. ويرى هذا الباحث أن جبل هور المذكور في التوراة لا يمكن أن يكون في أرض آدم ولا جبال سعير (الشراة)؛ لأن النص التوراتي في سفر التثنية (٥:٢) يشير بوضوح إلى أن الرب طلب من بني إسرائيل عدم الاقتراب من آدم وأنه لن يعطيهم منها مقدار موضع قدم لأنه وهب جبال سعير لعيسو<sup>(١٢٠)</sup>؛ أي أنها كانت محرمة عليهم. كما أن الرواية التوراتية تذكر أن بني إسرائيل أرسلوا رسلاً

١١٨. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ١٤٥.

119. Trumbull, *Kadesh-Barnea*, p. 131.

١٢٠. عيسو هو ابن اسحق عليه السلام وتوأم يعقوب عليه السلام كما جاء في التوراة، وكلمة عيسو بالعبرية تعني الشجر ولقبه آدم.

إلى ملك آدوم يطلبون منه الإذن بالمرور عبر أرضه، لكنه رفض طلبهم وخرج لهم على رأس جيش كبير. وإذا كان جبل هور هو جبل هارون الذي يقع في البترا في قلب آدوم، فهذا يعني أن بني إسرائيل دفنوا هارون على مقربة من ملك آدوم الذي رفض مرورهم من أرضه. ويبرز هنا سؤال منطقي حول قيام بني إسرائيل بدفن هارون على جبل هور من غير الحصول على إذن ملك آدوم وفي المقابل انتظروا موافقته على المرور من أرضه<sup>(١٢١)</sup>. وقد جاء في التوراة أن ملك عراد في فلسطين خرج لملاقاة بني إسرائيل بعد أن استشعر الخطر من تحركهم من قادش. والسؤال هنا لماذا يخرج ملك عراد إلى الشمال من قادش إذا كان بنو إسرائيل يسبغون باتجاه جبل هور على الطرف الشرقي من وادي عربة؟!<sup>(١٢٢)</sup>. وإذا كانوا فعلاً قد وصلوا إلى جبل هارون فهذا يعني أنهم كانوا قريبين من فلسطين أرض الميعاد التوراتية، ولم يكن هناك ما يمنع توجههم غرباً عبر وادي عربة. ويرى الباحث روث<sup>(١٢٣)</sup> (Roth) أن جبل النبي هارون بالقرب من البترا لا يمكن أن يكون هو نفسه جبل هور الذي مات عليه هارون عليه السلام؛ لأنه يقع على مسافة بعيدة جداً من قادش، كما أن قمته مرتفعة ويصعب الوصول لها ولا يمكن مشاهدة ما يدور عليها من أحداث. وهذه المواصفات لا تتسجم مع الرواية التوراتية التي تقول إن كل بني إسرائيل شاهدوا حادثة وفاة هارون وتصيب ابنه اليعازر حبراً أعظم بدلاً من والده على قمة جبل هور. والأرض في محيط الجبل غير مستوية ووعرة ولا تستوعب العدد الكبير من الناس الذين تجمعوا لرؤية حادثة وفاة هارون عليه السلام كما ورد في التوراة. وتجدر الإشارة إلى أنه قد جاء في سفر العدد (٣٣: ٣٠ و ٣١) أن هارون عليه السلام مات ودُفن على جبل Mosera. ويرى بعض الباحثين أن جبل Mosera هو جبل Madurah (مدورة) على بعد ٢٤ كم شمال شرق قادش<sup>(١٢٤)</sup>. هذا الجبل يقع على الطرف الجنوبي الغربي من آدوم خارج حدودها، على نقطة حدودية بين آدوم وكنعان وبرية باران، وعلى طريق بني إسرائيل من قادش باتجاه فلسطين. كما أن تضاريس جبل المدوره والمنطقة المحيطة به تتسجم مع النص التوراتي في ما يتعلق بحادثة وفاة هارون عليه السلام وما رافقها من أحداث<sup>(١٢٥)</sup>. وبناءً على ذلك ونظراً إلى قربه من قادش يميل عدد من الباحثين إلى أن جبل مدورة هو جبل هور الذي مات عليه هارون عليه السلام ودُفن فيه. كما سجل عدد من الرحالة الذين مروا بجبل المدورة في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي بعض الملاحظات حول أهمية ذلك الجبل الدينية في الذاكرة الشفوية لسكان المنطقة. وقد أورد ترومبل (Trumbull) آراء بعض الرحالة والباحثين التوراتيين الأوائل الذين يرفضون فكرة وجود جبل هور في البترا، ومنهم نوبل (Knobel) الذي قال: "لا يمكن أن يكون جبل هارون في وادي موسى هو جبل هور". وفي السياق نفسه يرى إيولد (Eawld) أن القول بأن جبل هور يقع في البترا "مجرد حدس ولا يمكن الدفاع عنه نهائياً". أما الباحث لانج

121. Trumbull, **Kadesh-Barnea**, pp. 128 -130.

122. **Ibid**, p. 132.

123. Roth, Ray L, Hor, in David Noel Freedman (editor), **The Anchor Biblical Dictionary**, Vol 3, Doubleday, New York, 1992, p. III. 287.

١٢٤. اقترح ترومبل ان الحرفين الصامتين d و s يمكن استبدالهما بسهولة في اللغات الشرقية.

125. Trumbull, **Kadesh-Barnea**, pp. 132 -135 and Roth, **Hor**, p. III. 287.

(Lange) فيرى أن النص التوراتي لا يدعم فكرة وجود جبل هور في البترا، واقترح أن جبل Moserah يقع في الجزء الغربي من وادي عربة، ويتفق معه في ذلك الباحث ويلتون (Wilton) الذي اقترح أن جبل المدورة هو جبل هور الحقيقي. وما يؤكد حالة عدم الاتفاق على موقع جبل هور الحقيقي اقتراح بعض الباحثين مواقع أخرى كمواقع محتملة لجبل هور أبرزها اقتراح نيبور (Niebhur) أنه يقع في شبه جزيرة سيناء، واقتراح بوكوك (Pocoke) أن جبل التيه هو جبل هور<sup>(١٢٦)</sup>. ومن القرن العشرين ميلادي هناك بعض الاقتراحات حول موقع جبل هور نذكر منها اقتراح عالم الآثار الإسرائيلي أهاروني (Aharoni) الذي يرى أن المرتفع المعروف باسم عمارة الخريشة الذي يقع على الطريق إلى عراد، ويطل على تقاطع طرق على بعد ١٣ كم شمالي قادش برنيع، يستحق أن يكون موقعاً محتملاً لجبل هور<sup>(١٢٧)</sup>. أما ماك دونالد (MacDonald) فيرى أن هناك صعوبة في قبول جبل هارون كموقع لجبل هور؛ لأن البترا في قلب أدوم وليست على حدودها ولأن جبل هور في النص التوراتي مرتبط على نحو كبير بقادش التي قد تكون عين القديرات، لذلك يرجح ماك دونالد أن جبل هور الحقيقي يقع إلى الغرب من وادي عربة قريباً من قادش<sup>(١٢٨)</sup>. ومن النقاش السابق يتضح لنا أن الموروث الذي طالما استند إليه بعض الباحثين في ما يتعلق بموقع جبل هور لم يعد صالحاً في ضوء الأدلة التاريخية والأثرية وعدم توافق النص التوراتي مع طبيعة موقع جبل هارون في البترا. هذا الموروث تشكل في الحقب البيزنطية، وأسهم في ذلك رأي المؤرخ اليهودي الروماني جوسيفوس حول موقع جبل هور بأنه بالقرب من البترا. ولم يكتف مؤرخو الكنيسة وعلى رأسهم يوسيبوس القيساري وجيروم باعتماد هذا الرأي بل زادوا على ذلك بالقول إن الصخرة التي ضربها موسى عليه السلام وخرج منها الماء تقع أيضاً على جبل هور في البترا، علماً أن التوراة لم تذكر نهائياً أن هذه الحادثة حصلت على جبل هور وإنما في قادش. ولم يذكر أيّ منهما وجود قبر على جبل هور القريب من البترا واعتمدا في روايتهما على أخبار نقلها بعض من زاروا المكان نقلاً عن السكان المحليين<sup>(١٢٩)</sup>. وفي السياق نفسه يرى فيما (Fiema) أن المسيحيين الأوائل في البترا كانوا يقدرون عالياً قصة خروج بني إسرائيل وأبطالها، فأسهما في ما سمّاه إعادة إحياء الموروث الديني التوراتي في صراع واضح بين المسيحية والثنية المتجذرة في البترا. لقد تحول جبل هارون من مكان عبادة لأحد الآلهة الوثنية إلى مكان له قدسية توراتية، وأسهم في ذلك عدم تحديد جبل هور الحقيقي وحاجة المسيحيين في المنطقة إلى أماكن ذات صلة مباشرة بموروثهم الديني. وبالرغم من اعتماد جبل هارون كمكان ذي قدسية في بدايات القرن الرابع الميلادي، فإن الدبر الذي اكتُشف على الجبل لم يُبين إلا في نهاية القرن الخامس الميلادي<sup>(١٣٠)</sup>. وعلى أعلى قمة في الجبل

126. Trumbull, **Kadesh-Barnea**, pp. 136 – 137.

127. Aharoni, **Kadesh-barnea and Mount Sinai**, pp. 115 – 145 in **God's Wilderness: Discoveries in Sinain**, ed. B. Rothenberg, Thames & Hudson, 1961, p. 141; Aharoni, **The Land of the Bible: A Historical Geography**, 2<sup>nd</sup> rev. ed., Translated and edited by A. F. Rainey, Burns & Oates, London, 1979, p. 202 & p. 436.

128. MacDonald, **East of the Jordan**, p. 70.

129. Lahelma & Fiema, **From Goddess**, p. 198.

130. Fiema, **Reinventing the Sacred**, p. 33.

وتخليدًا لحادثة وفاة هارون عليه السلام بُنيت كنيسة في الحِقبَة البيزنطية كما تشير الأدلة الأثرية إلى البقعة نفسها التي أُقيم عليها المقام في الحِقبَة الإسلامية<sup>(١٣١)</sup>. وقد عثر بعض الرحالة الذين زاروا المقام في القرن التاسع عشر الميلادي على حجارةٍ عليها رسمه صليب ونقش باللغة اليونانية، واستنتجوا أن المقام بُني على أنقاض مزار من الحِقبَة البيزنطية<sup>(١٣٢)</sup>. لقد كانت المسيحية بحاجة ماسة إلى إحياء الموروث الديني بعد قرونٍ من التتكيل والعداء لها من قبل الدولة الرومانية؛ لكي تتطلق بقوة من خلال الربط بين الرواية التوراتية ومواقع عديدة في المنطقة، وقد نجم عن ذلك تحديد مواقع للحج المسيحي وبدأ استخدام مصطلح الأرض المقدسة الذي لاقى قبولاً في أوروبا بدءاً من القرن السادس الميلادي<sup>(١٣٣)</sup>. في الحِقبَة الإسلامية، وعلى الرغم من غياب ذكر منطقة البترا من المصادر الإسلامية، فإن الرواية التوراتية حول وفاة هارون عليه السلام ومكانها رشحت إلى كتابات معظم المؤرخين المسلمين من غير تمحيص أو تحقيق، وقد عزز هذا الأمر الرواية التوراتية حول جبل هارون وتوارثتها الذاكرة الشعبية. ترسخت هذه الرواية أكثر أيام الاحتلال الصليبي لبلاد الشام على الرغم من عدم إلمام الصليبيين بالجغرافيا التاريخية للمنطقة على نحو عام والتوراتية على وجه خاص، فالقس والمؤرخ الصليبي فوشيه الشارترتي يصف جبل هارون بأنه الجبل الذي كلم عليه الرب موسى وهارون على خلاف ما تقوله التوراة نفسها<sup>(١٣٤)</sup>. في الحِقبَة الإسلامية المتأخرة لم يتبدل الحال وارتبط الجبل بوفاة هارون عليه السلام من خلال بناء المقام الذي لم يستطع بانيه سوى الاستسلام لموروث عمره أكثر من ألف عام، علاوةً على أن الموروث يرتبط بنبِيِّ من أنبياء الله ويتبرك به أهل البلاد التي مات ودُفن فيها. لم يجرؤ أحد على تحدي هذا الموروث فانعكس على السكان المحليين الذين أسقطوا الأحداث التي رافقت خروج بني إسرائيل من مصر على الظواهر الطبيعية خصوصاً التي لم يجدوا لها تفسيراً، فعين الماء الرئيسة في المنطقة أصبحت تعرف باسم عين موسى، والوادي أصبح اسمه وادي موسى، والممر الطبيعي المؤدي إلى داخل البترا والمعروف بالسبق قالوا إنه انشق بعد أن ضربه موسى بعصاه وهو في طريقه لجبل هارون ليدفن أخاه عليه كما نقل بعض الرحالة في القرن التاسع عشر الميلادي. والخلاصة أن العاطفة الدينية طغت على الحقيقة التاريخية في ما يخص مكان وفاة هارون عليه السلام ودفنه، وأصبح التبرك بوجوده في هذه الأرض أهم من الكشف عن الحقيقة التاريخية. تم استنكار حادثة وفاة هارون عليه السلام وربطها بالجبل القريب من البترا في الحِقبَة البيزنطية، وترسخ هذا الربط أكثر في الحِقبَة الصليبية، وتجسد الربط مادياً من خلال بناء المقام في الحِقبَة الإسلامية المتأخرة. فالعهد القديم كان الإرث الديني الأقدم بالنسبة إلى المسيحيين في الحِقبَتين البيزنطية والصليبية، وهارون عليه

131. MacDonald, *East of the Jordan*, p. 70.

١٣٢. لم يتمكنوا من قراءة النقش لأنه على حجر أعيد استخدامه في بلاط المقام ويسبب المشي على البلاط اختفت حروف النقش

على نحو كبير، انظر:

C. W. Wilson, Address Delivered at the Annual Meeting of the Fund, *PEFQS*, London, 1899, p.

31; C. W. Wilson, Inscriptions from Kerak, *PEFQS*, London, 1900, p. 73.

133. Whiting, *Complexity and Diversity*, pp. 9-10.

١٣٤. فوشيه الشارترتي، تاريخ الحملة إلى القدس، ط١، ص١١٠.

السلام أحد الأنبياء بالنسبة إلى المسلمين ولا يمكن رفض فكرة وجود قبره في المنطقة لأن الفكرة لا تتعارض مع عقيدتهم ووجود قبره فيها شرفاً وبركة.

### الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الموروث الديني المتعلق بالجبل الذي مات عليه هارون عليه السلام، والذي قيل إنه جبل هارون بالقرب من البترا في جنوبي الأردن. وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن التوراة لا تقدم معلومات دقيقة حول مكان وطبيعة الجبل الذي عُرف باسم جبل هور. ومنذ القرن الأول الميلادي تُبني رأي المؤرخ اليهودي الروماني جوسيفوس على أن جبل هور يقع بالقرب من البترا، رغم أنه لم يقدم أدلة تاريخية وعلمية تدعم رأيه، واعتمد على نحو أساس على تشابه الأسماء الوصفية بين البترا وقادش. ورغم أن النقاش حول موقع قادش لم يُحسم على نحو قاطع، إلا أن مرجعيات الجغرافيا التوراتية القدامى والمعاصرين لم يشيروا أبداً إلى أن البترا هي قادش التوراتية نفسها التي تحرك منها بني إسرائيل إلى جبل هور حيث مات هارون عليه السلام. وقد تركز البحث في الجزء الجنوبي من فلسطين على الحدود مع سيناء، وتركز الحديث حول عين قديس وعين القديرات كأكثر المواقع احتمالاً لقادش التوراتية. وبناءً على ذلك استُبعد جبل هارون بالقرب من البترا كموقع محتمل لجبل هور الذي مات عليه هارون عليه السلام؛ نظراً إلى بعده الكبير عن قادش ولعدم توافقه مع الوصف التوراتي لتضاريس الجبل. ويات الحديث عن جبل هور في منطقة غير بعيدة عن قادش (عين قديس عند الكثير من الباحثين وعين القديرات عند بعضهم)، وأصبح جبل المدورة القريب من الموقعين هو الموقع المحتمل لجبل هور. ورغم بقاء الموروث الديني حول جبل هور لمدة طويلة جداً وربط موقعه بالبترا لأسباب دينية ونتيجة الجهل بالجغرافيا التوراتية، فإنه لم يعد مقبولاً في الدراسات العلمية ولا يظهر على خرائط الجغرافيا التوراتية المعاصرة.

## **Jabal Haroun (Mount Hor): the Biblical Narration and the Historical and Archaeological Evidence**

**Fawzi Abudanah \***

### **ABSTRACT**

This study discusses the religious and historical tradition in respect to Jabal Haroun (mount Aaron) nearby Petra, and the possibility of it being the mount on which Aaron died and buried. The study thoroughly discusses the name of mount Aaron in biblical and historical sources. The bible, the major source of the events related to the death of Aaron, was assessed as a historical source through the consideration of its sources, the phases of its documentation, and its limitations as a historical source. The second part of the study presents the different views regarding the true geographic locations of Kadesh and Mount Hor depending on the bible, historical studies, and archaeological studies.

**KEYWORDS:** Jabal Haroun, Mount Hor, Kadesh, Aaron, Petra.

---

\*Al-Hussein Bin Talal University.

Received on 27/8/2017 and accepted for publication on 25/1/2018.